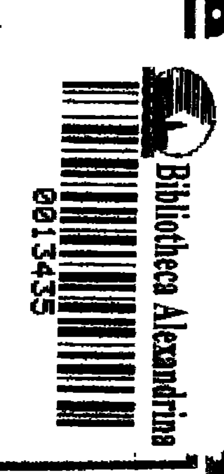
سلسلة بن باديس
الأنثروبولوجيه

المدخل الثقافي

في دراسة الشخصية

تأليف
الدكتور محمد حسن غامري
جامعة قسنطينـــة
معهد علـــم الإجتماع

١٩٨٩



المكتب الجامعي الحديث
محطة الرمل - اسكندرية
ت / ٤٨٣١٥٩٧

سلسلة بن باديس
الانثروبولوجية

المدخل الثقافى في دراسة الشخصية

تاليف

الدكتور/محمـد حسـن غامرى
جامعة قسنطينة ـ معهد علم الاجتماع

١٩٨٩

المكتب الجامعي الحديث
محطة الرمل - إسكندرية
ت: ٢٣٩٥٣

بسم الله الرحمن الرحيـــم

« وفوق كل ذى علم عليم »

« صدق الله العظيم »

إهـــداء

إلى حفيدتي

ســـارة الحسيني

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

مقـــدمة

يعتبر المدخل الثقافى فى دراسة الشخصية من الموضوعات التى يهتم بها علماء الانثروبولوجيا الثقافية ، وقد أدى اهتمام العلماء الانثروبولوجيين بدراسة التباين بين الشخصيات فى الثقافات المختلفة إلى ظهور فرع متخصص يعرف بالانثروبولوجيا السيكولوجية أو الثقافة والشخصية . وأسهم كثير من العلماء فى هذا الميدان ومن أبرزهم رالف لينتون وروث بندكيت ومارجريت ميد ، وكلاكهون ، وجون هونيجمان ، وايرفنج هاللول . وقد أسهم فى تطوير نظرية الثقافة والشخصية علماء النفس التحليليين ، الذين اتجهوا بعد ذلك إلى الاهتمام بالدراسات الانثروبولوجية مثل ابرام كاردينر ، واريك فروم ، وأنطون والاس وجورج دوفريه وجيزا روهيم . وظهر فى مجال الثقافة والشخصية عدة اتجاهات ، ولذلك تتضمن هذه الدراسة "معالجة المشكلة والمنهج فى المنظور الانثروبولوجى فى دراسة الثقافة والشخصية ، فاشتملت على مناقشة مفهوم الثقافة والمجتمع وعلاقة الانثروبولوجيا بعلم النفس ، ثم موقف الانثروبولوجيا من قضايا علم النفس الاجتماعى ، وكذلك أيضا مناقشة موقف المنظور الانثروبولوجى من التحليل النفسى ، وأخيرا مناقشة المنظور الانثروبولوجى للثقافة والشخصية ، والصعوبات المنهجية فى دراسة الثقافة والشخصية . بينما اهتم المبحث الثـــانى فى هذه الدراسة بمناقشة الاتجـــاه المشروط فى المنظور الانثروبولوجى للثقافة والشخصية ، حيث اشتمل على تحليل البناء الثقافى والنظم الثقافية . وظاهرة انتقال الثقافة ومفهوم النمط الثقافى ، ثم تحليل بناء الشخصية ودور الثقافة فى تكوين الشخصية . واتجه المبحث الثـالث إلى دراسة تأثير

السيكوديناميكية فى دراسة الثقافة ، فركز على البدايات الفكرية للسيكوديناميكية ونموذج الشخصية الاساسية . وأخيرا يتناول المبحث الرابع مناقشة الإتجاه التشكيلي فى دراسة الثقافة والشخصية من خلال منظور التكامل الثقافى وتحليل الانماط الثقافية ودورها فى تشكيل الشخصية ، ثم تأثير التكامل الثقافى فى تشكيل الصيغة الثقافية .

وعموما تعتبر هذه الدراسة مدخلا لإبراز أهمية موضوع الثقافة والشخصية ، وخاصة أن المجتمعات العربية فى أشد الحاجة لتحديد الهوية الشخصية للانسان العربى وتفهم مكوناته الشخصية ، وتحديد موضعه على الخريطة الثقافية للعالم .

محمد حسن غامرى

قسنطينه La Bcum

20 — 12 — 1985

المبحث الاول

المشكلة والمنهج فى دراسة الثقافة والشخصية

الثقافة والمجتمع .

بدايات التفسير السيكولوجى فى الفكر الانثروبولوجى .

موقف الانثروبولوجيا السيكولوجية من علم النفس الاجتماعى .

موقف المنظور الانثروبولوجى من التحليل النفسى .

المنظور الانثروبولوجى للثقافة والشخصية .

الصعوبات المنهجية فى دراسة الثقافة والشخصية .

المشكلة والمنهج في دراسة الثقافة والشخصية

الثقافة والمجتمع :

يعتبر إدوارد تايلور Tylor أول من وضع أبسط تعريف للثقافة « هى ذلك الكل المركب الذى يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل المقدرات والعادات الاخرى التى يكتسبها الانسان من حيث هو عضو فى مجتمع »[1] . أما رالف لنتون Linton فقد عادل الثقافة « بالوراثة الاجتماعية » Social heredity بينما يعتبر لوى Lowie الثقافة هى (التقليد الاجتماعى الكلى) .

ويلاحظ من خلال هذه الآراء الثلاث حول تعريف الثقافة بأنها تشتمل على كلمة تشير إلى ضرورة توافر العنصر الاجتماعى ، عند تايلور . يتضمن تعريفه للثقافة كلمة « مجتمع Society » وعند كل من ليلتون ولوى يتضمن تعريف الثقافة كلمة « اجتماعى » Social . ولذلك يجب أن تفهم كلمة المجتمع والثقافة ، واجتماعى وثقافى ، على أنها يتصلان ببعضها ، إذ لا توجد ثقافة بدون مجتمع ، وأيضا لا يوجد مجتمع بدون أفراد .

ويفهم من ذلك أنه لا يمكن تصور وجود مجتمع إنسانى بدون ثقافة ، بينما قد نجد مجتمعات من كائنات حيوانية أخرى تتصف بصفة الاجتماعية ، ولكن لا يتوافر فيها الثقافة ، مثل مجتمعات النمل والنحل فهى مجتمعات بدون ثقافة وبدون لغة .

---

(١) دكتور أحمد أبوزيد ، تايلور ، سلسلة نوابغ الفكر ، دار المعارف .

وعموما فانه عندما تتواجد الثقافة لابد وأن يتواجد المجتمع ، حيث دائماً تختص الثقافة بالإنسان . فالظاهرة الثقافية تميز الإنسان ككائن حيوانى اجتماعي ثقافي ، حيث يتشارك الإنسان فى صفة الاجتماعية مـــع بعض الكائنات الحيوانية الأخرى ، بينما يختلف عنها بما يتميز به من خصائص ثقافية أخرى مثل الحديث والمعرفة ، والمعتقدات والعادات والفنون ، والتكنولوجيا ، والمثل ، والحقوق (١) .

وباختصار الثقافة هى كل ما نتعلمه من الآخرين ، ومن الكبار ونضيفه إلى الثقافة ، ولذلك أشار تايلور إلى هذه العملية بكلمات المقدرات والعادات المكتسبة بفعل الإنسان . وهذا أيضا ما يقصده « لوى » عندما يقول إن الثقافة « هي التقليد الإجتماعى الـــكلي » أو ما يشير إليه « لينتون » « بالوراثة الإجتماعية » ، إلا أن هذا التعبير الذى قال به « لينتون » قد يشوبه الغموض ، وذلك لأن اصطلاح الوراثة غالبا ما يستخدم فى العلوم البيولوجية ، على أساس أن عملية الوراثة إنما تحدث بفعل «جينات وراثية» مما أدي إلى سوء فهم ما يقصده « لينتون » بكلمة وراثة ، وأن ما يقصده هو أن الثقافة « تكتسب اجتماعيا أو ثقافيا » . ويتأكد هذا المعنى إذا ما إستبدلنا كلمة « وراثة » Heredity ووضعنا بدلا منها كلمة « إرث » Inheritance حيث تؤدى هذه الكلمة نفس المعنى الذى يقصده « لوى » من التقليد الاجتماعى الكلي » (٢) .

ويتناول « كروبر » Krceber تحديد وتعريف الثقافة فى ضوء ما تتضمنه

(1) Kroeber, Al., Anthropolcgy, New Delhi, 1972, p. 252.

(2) Ibid. p. 253.

من أنشطه وما تتميز به من خاصية التفتح والتقبل ، لذلك فهى تنتقل من جيل إلى آخر بالتقليد الاجتماعى ، وأن خاصية التقبل Receptivity والتمثيل الثقافى Assimilativenes تؤدى إلى إستمرار الثقافة ككل ، وهذا يعنى أن الثقافة عند « كروبر » ليست نتاج فسيولوجي للشخصيات الانسانية . وانما هى أنشطه يكتسبها الانسان بالتعليم والتقليد الاجتماعى بصفته عضوا فى المجتمع . ولذلك فانه يطلق على هذه الخاصية اصطلاح أن الثقافة « فوق الفرد » Superindividual « وفوق عضوية » Superorganic.

ويوضح « كروبر » بأن اصطلاح « فوق العضوى لا تعنى اللاعضوية Nonorganic أو التحرر من تأثير العضوية أو علة العضوية كما أنها لاتعنى أن الثقافة مستقلة كلية عن الحياة العضوية وإنما الثقافة عضوية Organic وفوق عضوية Superorganic فى نفس الوقت ، فهى عضوية فى أنها متأصلة بصفة جوهرية فى الكائن الحى الانسانى وذلك لأنه بدون أن يعمل الناس ويفكروا ويحسوا ، لا يمكن أن تتواجد الثقافة . وهى في ذات الوقت « فوق عضوية » بمعنى أنها تخلد بعد أجيال ولذلك فان مضمونها هو نتاج للمجتمع الانساني أكثر من أن يكون نتاجا بيولوجيا للانسان ، وينتقل هذا المضمون بين الأفراد بدون أن يصبح جزءا متأصلا فى طبيعتهم الفطرية [1] .

ويلاحظ أن نظرية « ما فوق العضوى » عند « كروبر » نشأت أساسا عندما اتخذ « كروبر » موقفا مضادا من دعاة التطور الاجتماعى ، الذين

(1) Ibid. p 254.

جاءوا في أعقاب نظرية التطور في البيولوجيا . فقد إتخذ دعاة التطور الاجتماعي وعلى رأسهم هربرت سبنسر موقفا متطرفا في نظرتهم إلى المجتمع ، وكأنه جسم يخضع « للقوانين التطورية » ولذلك إتجه « كروبر » بنظريته نحو ضرورة استقلال الثقافة عن البيولوجيا ، وانتقد بذلك أصحاب التطورية الاجتماعية ، وخاصة عند هربرت سبنسر ، رغم أنه استخدم نفس الاصطلاح الذي استخدمه سبنسر « ما فوق العضوي » . فقــد قسم « كروبر » الظاهرات إلى ثلاث مراتب ، وهي الظاهرة « غير العضوي » Incrganic والظاهرة العضوية Organic وظاهرة ما فوق العضوية Superorganic . ويرى أن الظواهر فوق العضوية قد بدأت عندما مارس الإنسان البدائي الثقافة ، ومنذ ذلك الحين أخذت الثقافة تنمو مستقلة عن الحياة العضوية [١] .

وقد تناول (ليزلي هوايت) White تحليل خاصية «مافوق العضوي» للثقافة ، عندما ربط بين خاصية الرمزية التي يتميز بها الإنسان عن الكائنات الحيوانية الأخرى كشرط أساسي لوجود الثقافة . فقد حدد مرحلة نشأة الثقافة بتطور الجهاز العصبي للانسان ، وعندما وصل هذا التطور إلى أقصى درجاته ، أصبح للانسان القدرة على إستخدام الرمز ، ومع تطور هذه القدرة على الرمزية تواجدت الثقافة [٢] .

ويتناول « هوايت » تحليل موقف المشاعر والاتجاهات بالنسبة لخاصية

---

(1) Karc'iner and E.P., They stucied man, Amentor bcok, 1963, p. 170.

« مافوق العضوى » للثقافة ، فالمشاعر والاتجاهات هى حقيقة دفينة فى الجهاز البيولوجى للانسان ولكن عند تحليلها تحليلا منطقيا ، يقتضى فصلها عن قالبها البيولوجى فاللغة لا يوجد لها وجود بعيداً عن الأجهزة الحيوية للانسان مثل الغدد والأعصاب ، والأجهزة السمعية ، ولكن يمكن أن نتناول تحليل هذه اللغة بدون الإشارة إلى الكائنات الإنسانيه التي تنطق بها ، فاللغه هى تعبير رمزى عن أشياء اتفقت عليها الجماعة . وكذلك يمكن تحليل بعض السمات الثقافيه بعيداً عن الأجهزة الحيوية للانسان ، فهى تعبير رمزى عن أشياء موجودة فى المجتمع فكل سمة ثقافيه لها جانب ذاتي وآخر موضوعى ، فالخرافه مثلا كسمة ثقافية ترمز لشيء ما ، تتخذ موضوعا خارج الجهاز البيولوجى للانسان ، ولذلك فهى تتميز بخاصية الموضوعية Objective أما عن الإحساس بها أو الاتجاه نحوها ، فيتخذ له موضعا داخل الجهاز الحيوي للانسان ، وتتصف الإحساسات والاتجاهات بالذاتيه Subjective ، مما يصعب إدراك حقيقتها عند ملاحظتها [1] .

وفى ضوء هذا التحليل فان أى سمه ثقافية ، أو أي عنصر ثقافى له أشكاليه الذاتية والموضوعية ، وكل شكل يتضمن على الآخر ويشير إليه . فالخرافه كسمة ثقافية تتصف بالموضوعية من حيث مكانها خارج نطاق الجهاز الحيوى الانسانى ، ولكن إذا ظلت داخل نطاقه البيولوجى ، فهى كسمه ثقافية ليس لها معنى ولا فكرة .

وهكذا يمكن دراسة الثقافة فى ضوء مفهوم خاصية «مافوق العضوى»

---

(1) Ibid. p. 416.

وذلك من خلال تراكمها المستمر خلال الزمن . ويتخذ هذا التراكم المستمر شكل الأدوات والآلات والأوانى ، والعادات والتقاليد والقـوانين والمعتقدات والشعائر وأشكال الفن الأخرى . وتتفاعل عملية تراكم الثقافة فيما بينها إذ ترتبط كل سمه ثقافية أو مجموعة من السمات فيما بينها من وقت لآخر ، وتؤدى إلى تعديلات جديدة فى شكل سمات ثقافيه أخرى ، ويعرف هذا التأليف للعناصر الثقافية بالمخترعات ، وعندما يتطور تراكم العناصر الثقافية إلى مستوى معين ، وتتآلف هذه العناصر عند هذا المستوى يحدث التقدم .

فالسلوك الإنسانى يتحدد ثقافيا ويتشكل الفرد بصفة أساسيه تبعا لتنظيم من قوى وعناصر ثقافية ، بعض منها قد ترك تأثيره عليه من الخارج، ثم وجدت هذه العناصر الثقافية تعبيرا خارجيا لها من خلاله ، وعلى هذا النحو فالفرد ليس سوى تعبيرا عن التراث فوق العضوى فى صيغة جسميه. فالفرد يمارس التفكير والاحساس ، ولكن ما يفكر فيه ويحسه ، لا يتحدد بواسطته شخصيا بل بنظام إجتماعى ثقافى وضعته فيه حادثة ولادته . ورغم ذلك فالانسان يستطيع أن يتحكم فى جوانب معينه من العالم الطبيعى ، لا تخضع برمتها لقوانين الطبيعة ، إذ يستطيع تسخير الأنهار وموارد الوقود والذرات ، وذلك باعتباره واحدا من قوى الطبيعة يقع خارج نظمها الخاصة بها ، ويستطيع التحكم فيها . ولكن الإنسان ككائن حيوانى وكنوع ، إنما يقع داخل النظام الثقافى للانسان وبذلك يكون تابعا وليس كشىء متغير ، فسلوكه لا يعدو أن يكون وظيفه لثقافته وليس المقرر لها [1] .

---

(1) Ibid. p. 419.

ويوضح « هوايت » بأن وظيفة الثقافة هي ضبط الحياة حتى يمكن للكائنات الإنسانية أن تتحمل الصعاب التي تواجهها في الحياة . فالكائنات الحية تهدف إلى تخليد نوعها ويساعدها على ذلك التكوين الجسدى الذى تتميز به بالإضافة إلى قدرته على تكـــوين تقاليد خارج نطاق تكوينه الجسدى ، وتعرف هذه التقاليد بالثقافة وتظهر وظيفة الثقافة فى الكيفية التى يرتبط بها الإنسان بالبيئة المحيطة به ، كما أنها تربط الأفراد بعضهم ببعض ، ويدخل كل منهم فى علاقة مع الآخرين ، ويرتبط الإنسان بالموطن بفعل الأدوات والاتجاهات والمعتقدات . ولذلك تتضامن عملية الحياة مع الثقافة فى تنظيم الكائنات الإنسانية فى جماعات مما يعطيها القدرة على العمل المركز سواء فى شكل جماعات الصيد ، أو جماعات الحرب . كما تتطلب الحياة أيضاً أن تنظم الكائنات البشرية في أنواع مختلفة من الجماعات : مثل الأسر والبطون ، ونقابات المهن والجماعات الدينية ، وهذه تنتظم بدورها داخل إطار كلى هو المجتمع ، ويخضع هذا المجتمع إلى عملية تنظيم وإدارة ، وفق نظام معين له دور وظيفى ، ولذلك فالتنظيم الإجتماعى يؤدى إلى استمرار الحياة ، حتى يتحقق للكائنات الإنسانية التكيف التكنولوجى مما يساعدها على السيطرة والتحكم فى مصادرها الطبيعية [١] .

ويظهـــر من خلال مناقشه « هوايت » لوظيفة الثقافة ، أهمية عملية التكيف Acaptaticn فى السيطرة على البيئة ، ولهذا فهى تعمل على توجيه « التطور الخاص » فى كل من الحياة والثقافة . وتتميز عملية التكيف سواء

(1) Ibid. pp. 419 – 422.

فى الجانب البيولوجى ، أو فى جانب « ما فوق العضوى » بخاصية الابداع Creative والمحافظة على القديم Conservative وتختص الخاصيـة الأولى « بالتطور الخاص » لبناء أنماط ثقـافية تساعد الإنسان على التكيف مـع البيئة ، أما الخاصية الثانية فهى تعمل على المحافظة وتثبيت الأنماط الثقافية التى أنجزها الإنسان [١] .

ويعالج « إرنست كاسيرر » E. Cassier ظاهرة إنتقال الثقافة وذلك من خلال وسائل الإتصال بالرموز ، فالإنسان حيوان ثقافى قادر على استخدام الرمز لأنه يتميز بالقدرة على التفكير المجرد ، والرموز تحل محل المفاهيم وليست بديلا عن الأشياء ، كما أنه لا يعبر عن الرموز فقط فى كلمات ، بل تظهر الرمزية أيضا فى الطقوس والمنتجات المصنوعة والأعمال الفنية . وهكذا فان عالم الإنسان مفعم بالرموز التى خلقتها الثقافة عن طريق اللغة ، ولذلك يقول « كاسيرر » أن الإنسان لم يعد يعيـــش فى عالم فيزيائى بل يعيش فى عالم رمزى ، واللغة والأسطورة والفن والدين هى أجزاء من هذا الكون . ولهذا فالإنسان لا يستطيع أن يواجه الواقع مباشرة ، فهو لا يستطيع أن يراه كما هو وجها لوجه ولكن عليه أن يغلف نفسه فى صيغ لغوية وفى صور ذهنية فنية ، وفى رموز أسطورية أو فى طقوس دينية ، بحيث أنه لا يستطيع أن يرى أو يعرف شيئا إلا بتدخل هذه الوسيلة المصطنعة [٢] .

---

(1) Sahlins, Marshall and S.E.L, Evolution and Culture, M. Ch. Press, 1960, 46.

(2) Cassier, Ernest, An Essay on man, Yale Univ. Press, 1944, p. 26.

ويتضح من خلال تحليل الثقافة والمجتمع ، أن الثقافة تعنى عند الانثروبولوجيين الأنماط المختلفة من السلوك والتفكير والمعاملات ، التى اصطلحت عليها الجماعة فى حياتها والتى تتناقلها الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعى وليس عن طريق الوراثة البيولوجية . والثقافة هى ما يتعلمه الأجيال بعضها من بعض عن طريق الاتصال اللغوى والخبرة والممارسة بشئون الحياة ، وعن طريق الإشارة والرموز ، فالثقافة تشتمل على كل ما ينتج عن صلة الإنسان بالطبيعة وما يحيط به من موارد ، وما يصطنعه من أدوات ومعدات ، وتشتمل أيضـــا على أنواع العلاقات التى ترتب حياة الناس وتنظم التعامل بين الأفراد والجماعات ، فضلا عن القيم الأخلاقية التى تدفع الناس إلى اتخاذ سلوك مرغوب فيه . ومما يساعد على ذلك أن الانسان يتصف بالقدرة على التفكير المتطلق ، أيا كانت صور هذا التفكير ، وأيضا القدرة على العمل ، لذلك فهو يستطيع أن يكتسب السلوك والأفكار من الجماعة المحيطة به وكل جماعة لها نمط معين من التفكير والسلوك ، ويظهر اختلاف هذه الأنماط من مجتمع إلى آخر فى طريقة الأكل ، والتعبير عن العواطف والمخاوف وعلاقات الصداقة والجنس .

بدايات التفسير السيكولوجي فى الفكر الانثروبولوجى :

تناول الأنثروبولوجيون دراسة الانسان البدائى من خلال أنشطته العلمانية وأنشطته المقدسة ، أو ما يعرف بالأنشطة الدنيوية ، والأنشطة التى تتصل بالقوي الروحية . وقد أتضح للأنثروبولوجيين أن الانسان فى المجتمعات البدائية يواجه مشكلاته الحيوية بحلول تختلف تماماً عن أساليب وطرق مواجهة الانسان المتحضر لمشاكله ، مما يظهر تفكير الرجل البدائى بالنسبة للانسان المتحضر كأنه تفكير غير منطقى . ويرجع ذلك إلى أن الفكر البدائى ، كما يذهب اليه « ليفى بريل » قد أحاط نفسه بعالم من الغيبيات التوهمية ، وبطبقات متراكمة من الرموز السحرية ، التى تحجب عن البدائى كل واقع فى ذاته (١) .

وقد أهتم الأنثروبولوجيون الأوائل بدراسة بعض الظواهر الاجتماعية مثل ظاهرة الدين وذلك من خلال النزعة التطورية ، التى سادت الفكر الانثروبولوجى فى القرن التاسع عشر . فقد حاول أدوارد تايلور تفسير نشأة الدين فى ضوء نظريته « الإنيميزم » وتعرف بالنزعة الحيوية وقد شيد هذه النظرية على أساس أن التفكير الدينى قد تطور وتعقد عن طريق العمليات الذهنية . فقد تصور تايلور أن الرجل البدائى يقوم بعمليات ذهنية منطقية ، يحاول بمقتضاها أن يفسر بعض الظواهر كالموت والنوم والأحلام فافترض وجود نفس مستقلة تمام الاستقلال عن الجسم ثم بدأ بعد توصله إلى فكرة

---

(1) Firth, Raymond, Human types, Mentor book, 1958, P, 122.

النفس ، يتصور أن الحيوانات والنباتات بل وحتى الأشياء التي تعتبر غير حيه تمتلك هي أيضاً نفوساً ثم تصور وجود كائنات قوية هي عبارة عن نفوس خالصة يطلق عليها أسم الآلهة والأرواح والشياطين التي يقوم عليها التفكير الديني [١] ، وكذلك يذهب جيمس فريزر FRAZER في دراسته للسحر أن الانسان البدائي قد تبين له أن هناك قوى في العالم لا يمكن إخضاعها لرغبة الفرد فحاول أن يسخر هذه القوى عن طريق السحر لصالحه ، إلا أنه أتضح لبعض الأفراد أن السحر لا يحقق لهم في الواقع سوى الأغراض التي يهدفون هم أنفسهم اليها . فاستبدلوا بذلك الاعتقاد في وجود كائنات بشرية توجه مسير الطبيعة . ويعرف هذا الاتجاه في الكتابات الانثروبولوجية عند تايلور وفريزر ، بالتفسيرات السيكولوجية العقلية ، فقد حاول كل من تايلور وفريزر توضيح أن الانسان البدائي يفسر الظواهر الاجتماعية التي تحيط به من خلال التفسير السيكولوجي الفردى ، فالدين كظاهرة اجتماعية والسحر كظاهرة إجتماعية ، إنما يمكن تفسيرها وتأويلها من خلال المنظور السيكولوجي الفردى ، وذلك من خلال محاولة سير غور العمليات العقلية التي يمر بها الرجل البدائي [٢] .

وقد ناقش « ديفرز » في كتابه التنظيم الاجتماعي السلوك الانساني من خلال جانبين ، الأولى سيكولوجي استخدم فيه مصطلحات سيكولوجية

---

(١) دكتور أحمد أبو زيد ، تايلور ، سلسلة نوابغ الفكر ، دار المعارف .

(2) Karciner, cq. cit., P. 60 .

مثل الأفكار والمعتقدات والمشاعر والغرائز والميول ، وفسر فى ضوء هذه المصطلحات سلوك الانسان الفردي والجمعى . أما الجانب السوسيولوجى تناول تفسير سلوك الانسان سواء الفردى أو الجمعى فى ضوء مكونات البناء الاجتماعى ، حيث يجد كل شخص نفسه عضواً فيه منذ لحظة ميلاده .

ولذلك فان تفسير « ريفرز RIVERS لسلوك الانسان يعكس الفكر السيكولوجى القديم ، كما يعبر عن الفكر السوسيولوجى الجديد ، أو بمعنى أصح يمكن الإحساس بروح دوركايم فى تفسيراته ، والواقع أن التدريب العملى الذى حصل عليه ريفرز قد أمده بأنواع مختلفة من التفسير لظاهرة التنظيم الاجتماعى ، وذلك من خلال محاولاته لإعادة تركيب التاريخ ، وتفسير كل من السلوك الفردى والسلوك الجمعى والبناء الاجتماعى [1] .

وأن إدراك ريفرز لأهمية الجوانب النفسية كعامل فى الحياة الاجتماعية قد تأيد بالمحاولات الحديثة التى تمت عن طريق بعض العلماء الأمريكان مثل مارجريت ميد ، ورلف لينتون وروث بنديكت ، الذين اهتموا بدراسة أنماط الشخصية فى الحياة الاجتماعية . ولذلك فانه يمكن وضع «ريفرز» كأحد العلماء المبكرين ضمن زمرة المدرسة الأنثروبولوجية الحديثة ، التى تستخدم التكنيك السيكولوجى فى دراسة الثقافة [2] .

---

(1) Haring, Dcuglas, (ed) , Perscnal Character and Cultural Millieu, New York. 1948, P. 159

(2) Ibid .P. 159 .

ويظهر أيضاً الاهتمام بالجوانب النفسية ، عند ريموندفيرث FIRTH في كتابه TILOPIA حيث يوضح أن الجانب النفسى لا يمكن أستبعاده تماما . ولذلك أهتم « فـــيرث » بالجانب السيكولوجى بجانب منهجه السوسيولوجى لكى يفهم بقدر الإمكان ميكانيزم الحياة الاجتماعية فى مجتمع تيكوبيا TIKOPIA . وظهر ذلك فى أهتمامه بدراسة « العلاقة الشخصية فى دائرة الأسرة » حيث درس طريقة العناية بالطفل ، والعلاقه بين الزوج والزوجه . كما رفض تصديق فكرة أن القسوة SAVAGES لا يصاحبها عاطفه إلا أنه لم يستخدم كلمه « عاطفه » SENTIMENT بمعناها السيكولوجى الحقيقى ، ولكنه أستخدم هذه الكلمه فى ضـــوء حقيقتها الثقافية ، ولذلك أستمد مفهوم « العاطفة » من ملاحظة السلوك ولم يستدل عليها كحالة عقليه (١) .

وقد صنف العواطف التى تصاحب مظاهر القسوة إلى درجات ، يمكن ملاحظتها والإحساس بها من خلال تغيير مقامات الصوت عند الحـديث ، وكذلك من خـلال نظرة العينين وهذه التغيرات سواء فى الصوت أو فى نظرة العينين إنما هي ردود فعل المـــواقف المعقدة التى تكونت بين الطفل ووالديه .

ورغم أكتشاف فيرث الاختلافات الفردية فى السلوك الفردى عند كل من الزوجين والأولاد بالاضافة إلى أهتمامه بالجانب النفسى الذى أشار اليه كثيراً سواء بوضوح أو ضمنياً ، إلا أن تفسيره لكل الظواهر الاجتماعية كان تفسيراً سوسيولوجياً (٢) .

---

(1) Firth, Rymond, op. cit. P. 160 .
(2) Ibid. p. 161.

وقد تناول رادكليف براون تعريف العاطفه وذلك من خلال استخدام فكرة العاطفه الجمعية Collective Sentiment عند دوركايم . فأوضح رادكليف براون الطريقه التى يعمل بها نسق العاطفه بأن كل مايصف النسق الاجتماعي ذاته ، وكل حدث أو موضوع ينزع بطريقة ما إلى رفاهية المجتمع أو تماسكه ، إنما يصبح هذا الحدث ضمن نسق العاطفه . كما أن العواطف فى المجتمع الانسانى لا تنتج عن عوامل فطرية ، وإنما تنشأ فى الفرد بتأثير المجتمع عليه . وتعتبر العادات الطقسيه أو الشعائريه للمجتمع ، ناتجه عن التعبير الجمعى لمناسبات اجتماعيه أو دينيه أو غيرها محددة . ولهذا فان التعبير الطقسي لأى عاطفة ، يهدف إلى المحافظه على المناسبه ذاتها إلى درجة ضرورية من التركيز فى عقل الفرد ، لكي تتناقلها الأجيال جيل بعد الآخر ، وبدون التعبير عما تتضمنه العواطف فانها لا تتمكن من الاستمرار فى الوجود .

ويلاحظ فى تحليل « رادكليف براون » لنسق العواطف ، أن اشارته إلى رفاهية المجتمع وتماسكه إنما يقصد بها ارتباط النسق الاجتماعي بنسق العواطف ، وهنا يلاحظ أن دور الفرد مطموسا ، بينما يركز على الوظيفه الاجتماعية للعواطف ، كما أن نظرته للعواطف على أنها لا تنتج فطريا إنما يرجع ذلك إلى أن العواطف الفرديه فى مجتمع الأندامان الذي قام بدراسته غير محددة وواضحه ، حيث دائما ترتبط العاطفه الجمعيه بالمناسبات . فظاهرة البكاء غالبا ما يستخدمها المواطنون للتعبير عن عواطفهم الجمعيه فى مناسبات عديدة ومتناقضه إذ يستخدمها الأفراد عند لقائهم مع بعض فى الصباح وكذلك يعبرون عن حزنهم بالبكاء عند الالتفاف حول جثمان أحد الأهالى

أو الأصدقاء ، كما يحدث البكاء أيضا بمناسبة الزواج أو عند إجراء الشعائر والطقوس ، وذلك فى مراحل مختلفه من هذه العمليه [١] .

وفى دراسة ايفانز بريتشارد عن مجتمع الأزاندى بعنوان «العين الشريرة» Witchcraft وجد ايفانز بريتشارد أن مجتمع الأزاندى يسوده بعض المعتقدات الغريبه التى تؤلف نسقا من الأفكار ، يمكن فى ضوئه فهم كافة الأنشطه الاجتماعيه والبناء الاجتماعى ، وتعتبر حياة الفرد فى مجتمع الأزاندى لها دور رئيسى فى تشكيل هذه الأنشطه الاجتماعية ، وفى تشكيل البناء الاجتماعى . وقد قام إيفانز بريتشارد بدراسة وتحليل سلوك الأفراد فى ضوء ظاهرة العين الشريرة ، وهذه الظاهرة هى حالة عضوية داخليه ، إلا أن تأثيرها وفعلها يحدثان بطريقه نفسيه بحته ، ولذلك تتأثر العلاقات الاجتماعيه بين الأفراد ، بالآثار التى تنجم عن فعل العين الشريره . ويدرك الازاندى أن كل فرد لديه عين شريرة ، ولكن تأثيرها لا يحدث إلا إذا تكون عند الفرد اتجاهات خبيثه نحو الآخرين ، وبذلك توجه العين الشريرة هذه المشاعر الخبيثه نحو الافراد فتحدث لهم الكوارث والوفاة .

والواقع أن هذه الفكرة عند الأزاندى عن العين الشريرة قد نجد لها أساس لدى علماء النفس التحليليين وهو ما يعرف بالاسقاط [٢] .

وقد تأسس فى ضوء ظاهرة العين الشريرة نظام خاص للسحر يسود

---

(1) Radcliffe – Brown, A.R., Andaman Islanders, The free Press, 1948, pp. 231—237.

(2) Evans – Pritchard, Withchcraft, oracles and magic among the Azande, Oxford, 1937. p. 148.

مجتمع الأزاندى فالشخص المصاب بأذى العين الشريرة ، يذهب إلى «العراف» حتى يتبين عنده صاحب العين الشريرة ، ويتدرج نظام العرافين إلى مستويات حتى يصل إلى الساحر ثم إذا فشل يلجأ إلى الحاكم وهو أعلى سلطة . ويشير إيفانز بريتشارد فى تحليله وتفسيره للسحر فى مجتمع الأزاندى إلى أنه لا يصف كل موقف اجتماعى يكون فيه السحر وسيط التخلص من العين الشريرة ، ولكنه يدرس العلاقات لهذه الممارسات والمعتقدات بين كل واحد والآخر ، حتى يوضح كيف يتشكل نسق الأفكار ، وكيف يعبر هذا النسق عن نفسه فى السلوك الإجتماعى . وفى هذا الصدد فان إيفانز بريتشارد يهتم بتحليل نسق الأفكار الذى يشير إلى عقلية الأزاندى أو تفكير الأزاندى ، كما يهتم أيضا بتحليل ودراسة السلوك الإجتماعى ، الذى يتضح من خلاله أنه عبارة عن سلوك الفرد فى المجتمع الأزاندى . ويشير إيفانز بريتشارد أن سكان الأزاندى يعيشون دائما فى جو من القلق ، لما يعتريهم من الخوف والألم الذى يتعرضون له من قوى الشر الكامنة فى العين الشريرة . ويتساءل إيفانز بريتشارد لماذا اعتقد الأزاندى بأن العين الشريرة وراثيه ، ولتوضيح ذلك يجب الإشارة إلى ملاحظة هامة فى مجتمع الأزاندي أن الذكر ذو العين الشريرة يكون لدى أبنائه عيون شريرة ، ولكن بناته ليس لديهن عيون شريرة ، بينما البنات ذو العين الشريرة تكون بناتهن فيما بعد لهن عيون شريرة ، بينما الأبناء لا يكون لديهم عيون شريرة [1] .

وقد توصل إيفانز بريتشارد فى تفسيره للعين الشريرة بأنها ضرورة

---

(1) Ibid. p. 23.

ثقافية كما أن مالينوفسكي قد أوضح أن هذه الظاهرة ما هى إلا تعبير عن استجابه ثقافية للحاجة لتوافر الأمن [١].

والواقع أن دراسة إيفانز بريتشارد عن مجتمع الأزاندى كان يهدف أساسا من هذه الدراسة هو اختبار نظرية ليفى بريل Levy–Brull ، عن العقلية البدائية ، وقد أوضحت دراسته بأن سكان الأزاندى يتميزون إلى أفراد ذو عقل طبيعى وآخرين ذو عقل فوق طبيعى ، وأن عقليتهم لم تكن بأى حال عقلية ماقبل المنطقية كما أراد لنا ليفى بريل أن نعتقد . فقد ناقش ليفي بريل التفكير البدائى وأطلق عليه أنه تفكير ما قبل المنطق Pre – Lcgic ، وينهض هذا التفكير على نوع من الرابطة بين الملاحظ والموضوع ، ويعرف هذه الرابطة باصطلاح « المشاركة الغيبية » Myst'c Participation فالإنسان البدائى يرى العالم الخارجى من خلال نوع من الوجدان الغامض Emcticnal haze ، حيث يتشارك فى هذا الوجدان أنواع من الكائنات الأخرى كالحيوانات والأشجار ، ويكون لهذه الأشياء الكيفية التي يتميز بها الكائن الحى البشري عنده [٢] . ولذلك فحص ليفى بريل التفكير البدائى من جوانب محددة ، مثل إتجاه البدائى نحو الطبيعة والطوطمية ونظم الكيندرد Kincred . وقد إتجه ليفى بريل فى فحص التفكير البدائى ، إلى الاهتمام بالاجراءات العملية التى يتبعها البدائى كدليل يكشف عن إتجاهات تفكيره ، فاتضح له أن المعتقدات عند الرجل البدائى ،

---

(1) Malinowsik, B., Scientific thecry of Culture and cther Essays, 1944. p. 91.

(2) Firth, Raymond, op. cit., pp. 122 – 123.

تنهض أساسا على مشاعر الرهبة OWE والغيبية Mystery وأنها ترتبط إرتباطا تكامليا مع شئونه العملية ورغباته الاقتصادية [1] .

وفى ضوء هذه الدراسات الأنثروبولوجية يتضح أن الظواهر الاجتماعية إنما ترتبط أساسا بالبناء السيكولوجى للفرد ، حيث يلجأ الرجل البدائى إلى إستخدام السحر وممارسة الطقوس الدينية لمصالحه الخاصة ، وذلك لأنه يشعر بالقلق إزاء المجهول وخاصة ما يتعلق بالرزق . كما يتضح من دراسات إيفانز بريتشارد عن مجتمع الأزاندى من خلال مفهوم نظام السحر يمكن فهم النظم الاجتماعية التى تسود البناء الاجتماعى للأزاندى . والأنثروبولوجيون الذين رفضوا علم النفس فى تفسير الظواهر الاجتماعية مثل الدين والسحر ، نجدهم فى تحليلاتهم قد بدأوا بالفرد أو انتهوا إلى تأثير الفرد فى هذه النظم ، وردها إلى المشاعر والاتجاهات النفسية التى يتضمن عليها البنـــاء السيكولوجى للفرد .

وهكذا يتعامل الأنثروبولوجيون فى دراستهم للمجتمعات مع مستويين من التحليل ، المستوى الأول وهو دراسة البناء الاجتماعى أما المستوى الثانى يختص بدراسة وظيفة الجماعات الاجتماعية ، ومن خلال دراسة الجماعات تتم ملاحظة السلوك الفردى إلا أن سيكولوجية الفرد لاتكون فى الحقيقة هى موضوع الدراسة ، ولكن دراسة العلاقات التى تحدث بين سيكولوجية

(1) Ibid. p. 124

الفرد والثقافة ، إنما تشكل موضوع الملاحظة ، حيث يعيش الفرد داخل الثقافة [١] .

وقد أوضح راد كليف براون بأنه من الممكن دراسة المجتمع باعتباره شيء مستقل ومميز دون الاستعانة بفحص البناء السيكولوجي لأعضاء المجتمع ، وبدون الاهتمام بالاختلافات الفردية بين أعضاء المجتمع ، إلا فى الحالات التى تشكل فيها هذه الاختلافات تشكيلا نمطيا . ولذلك فان دراسة الثقافة كشيء يعتمد على ملاحظة السلوك التقليدى لأعضاء جماعة محددة ، إنما تشكل مدخلا إلى دراسة الحالات المتزامنة Synchronic statement فى كثير من المجتمعات البدائية . أما إذا تناول الأنثروبولوجيون دراسة الأحداث في أزمان متعددة فان القضايا التي تهتم بها ، إنما تتعلق بالأفراد الذين لهم دور فى تغير التنظيمات الثقافية فى المجتمع ، وكذلك بالنسبة للاشخاص الذين يؤدون دور سياسى يؤثر على سير مجرى الأحداث التاريخية فى المجتمع [٢] .

---

(1) Mead, Margaret, Anthropology : A Human science, London 1964 p. 64.

(2) Ibid, pp. 64 – 65.

موقف الأنثروبولوجيا السيكولوجية من علم النفس الاجتماعي

يكشف تاريخ الأنثروبولوجيا السيكولوجية عن أسهامات كثيرة من علماء النفس التحليليين مثل إبرام كاردينر ، وإريك إريكسون ، الكسندر لفتون ، وكارن هورني وجزا روهيم وعلى رأسهم سيجمند فرويد . فقد تعاون هؤلاء العلماء مع الأنثروبولوجيين مما أدى إلى تطور الأنثروبولوجيا السيكولوجية سواء من ناحية المفهومات أو حجم البحوث التي قام بها كثير من الباحثين .

ورغم أن الأنثروبولوجيا السيكولوجية ليست علما علاجياً . إلا أنها قد أستفادت إلى حد كبير من العلوم العلاجية السيكولوجية ، بالاضافة إلى أن لها طريقها الخاصة . ولذلك فان مناهج الأنثروبولوجيا السيكولوجة تتبع الاجراءات العلمية العادية وهي تكوين الفـــروض ، ودراسة هذه الفروض . ولذلك فان الأنثروبولوجيا السيكولوجية ليست هي علم النفس الفردى ، كما أن التحليل النفسي في ضوء ما وصل اليه فرويد من نتائج تفسر نشأة الطوطم والتابو ، يجب أن يبتعد عن دراسة الثقافات الشاملة فالنتائج التي توصل اليها لا تشير اليها كل الثقافات بدرجة واحدة ، وإنما تختلف هذه النتائج تبعاً لاختلاف الثقافة (١) .

فالأنثروبولوجيا السيكولوجيا تتعامل مع الأفـــكار الشعورية أو اللاشعورية التي يتشارك فيها معظم الأفراد في مجتمع معين كأفراد ويمكن

---

(1) Hsu , Francis , Psychological Anthropology . The Dorsey Press, 1961 , P . 4 .

تصنيفهم تحت أصطلاح الشخصية الأساسية Basic Personality أو الشخصية المشروطة Model Personality . كما أن هذه الأفـــكار الشعورية أو اللا شعورية قد تتحكم فى تصرفات وسلوك أفراد مجتمعين فى شكل جماعة ، وقد تعرف سيكولوجية الجماعة Group Psychology أو سيكولوجية الحشد Mob Psychology أو العقل الجمعي Collective Conscience وهذه تختلف عن علم النفس الفردى ، وقد يمتد هذا السلوك الجمعى ليشتمل على أفراد كثيرين يخضعون لنمط خاص لحياة الجماعة مما يطلق عليه الشخصية القومية ويتميزون بخصائص محددة مثل القلق أو العدوان ، أو المسالمة أو الطموح (١) .

وأيضاً تختلف الأنثروبولوجيا السيكولوجية عن علم النفس الاجتماعى ، رغم أنهما يقتربان من بعضهما ، حيث يتعامل كل منهما مع المجتمع وعلم النفس، إلا أنهما ينفصلان عن بعضهما فى جوانب هامة عنـــدما يدرسان الثقافة والشخصية . حيث تؤكد الأنثروبولوجيا السيكولوجية عندما تبحث فى الثقافة والشخصية على طبيعة أختلافات الجمـــاعة من الناحية السلالية Ethenic ، بينما غالباً ما يتعامل علم النفس الاجتماعى تجريبياً مـــع الأختلافات التى تنتج عن الجماعة .

كما تهتم الأنثروبولوجيا السيكولوجيـة فى دراسة الثقـافة والشخصية بالسلوك ، وهكذا يمـكن تحديد أوجه الاختلاف بين الأنثروبولوجيا السيكولوجية وعلم النفس الاجتماعي فى ثلاث نقاط . النقطة الأولى وهى

---

(1) Ibid P. 10 .

أن مدخل الأنثروبولوجيا السيكولوجية يشتمل على الثقافة في عمومها بينما يحصل علم النفس الاجتماعي على مادته من المجتمعات المتمدينة، أما النقطة الثانية هي أن علم النفس الاجتماعي علم كيفي وإلى حد ما قد يكون تجريبياً في بعض النواحي ، بينما التفتت الأنثروبولوجيا السيكولوجية إلى تصميم البحوث وتكوين الفروض وأختبارها ، وأخيراً النقطة الثالثة أن الأنثروبولوجيا السيكولوجية لا تتعامل فقط مع تأثير المجتمع والثقافة في الشخصية ، وإنما أيضاً مع خصائص الشخصية في دور تطورها وتكوينها عند تغير الثقافة والمجتمع (١) .

وفي ضوء ذلك يمكن القول بأن الشخصية التي يتناولها الأنثروبولوجيون السيكولوجيون تختلف تماماً عن الشخصية التي يدرسها علماء النفس الفردي أو علماء النفس الاجتماعي ، حيث يدرس علم النفس الفردي الشخصية الفريدة للفرد ، ولكن الأنثروبولوجيون السيكولوجيين يدرسون خصائص الشخصية التي يتشارك فيها أفراد مجتمع معين وتصبح هذه الشخصية جزء منه ، ولهذا يختلف الأنثروبولوجيون مع علماء النفس في دراستهم للشخصية ، حيث يدرس علماء النفس الشخصية كنتاج للخبرات الأولى في حياة الانسان تبعاً لاتجاه فرويد التقليدى ، أما الأنثروبولوجيون فانهم يدرسون الشخصية كعملية لتفاعل حياة الفرد مع مجتمعه والثقافة التي تسود هذا المجتمع (٢) .

(1) Ibid , P . 11 .

(2) Ibid . P . I2 .

موقف المنظور الانثروبولوجي من التحليل النفسي

لقد ألتفت العلماء الأنثروبولوجيون إلى دراسة التكيفات السلوكية ، التى أضطر الانسان إلى أكتسابها حتى يتواءم مع الظروف التى فرضتها عليه الحياة الاجتماعية ، ولذلك كان لابد من تطوير أساليب فنية جديدة لوصف مظاهر التكيف السلوكي والنفسي فاهتم علماء الأنثروبولوجيا بالنواحي السيكولوجية فى الثقافة ، والتفتوا إلى أهمية وضرورة دراسة الشخصية فى علاقتها مع الثقافه وذلك من خلال تحليل العلاقات بين الثقافة والفرد أو على الأصح دراسة أثر الثقافة فى تكوين الشخصية .

وفى ضوء ذلك يوضح « هونيجمان » Honignan مدى أهمية دور الثقافة فى تكوين الشخصية ، فالنظرية التي تبحث فى الثقافة والشخصية إنما تنبع من أتجاهات علمية متعددة ، وأهم هذه الاتجاهات هو الاتجاه السيكولوجي [1] .

ولذلك يشير « إبرام كاردينر » KARDINER إلى ضرورة معرفة الديناميات السيكولوجية عند دراسة الثقافة والشخصية ، وكذلك تتطلب دراسة وتحليل الشخصية فى مواقف الجماعات ، أن يعرف الباحث الأنثروبولوجي القوانين والفروض والمفهومات التى تتعلق بالسلوك الانسانى . ولهذا يؤكد على ضرورة معرفة الديناميات اللاشعورية حتى يمكن فهم تأثير أعضاء الجماعة على الفرد ، كما يؤكد أيضاً على ضرورة

---

(1) Honigman, J . , culture and Personality ,New York. 1954 . P . 71 .

معرفة عمليات التعلم ، والتكيف ، والقلق ، والأمن ، حتى يمكن معرفة اختلاف الأنماط السلوكية الاجتماعية (١) .

وقد اتضح للعلماء أن ثقافة أى مجتمع تتناقلها الأجيال ، بحيث يرثها كل جيل عن الجيل السابق ، والتفت هؤلاء العلماء إلى هذه الحقيقة باعتبارها أوضح السبل لمعالجة الظواهر الثقافية فى ضوء نظريات التعلم . إلا أن إنتشار الثقافات واستيعابها يشير إلى أن هناك حدود تقف عندها امكانيات انتقال المحتوى الثقافى عن طريق عمليات التعلم المباشر . ويظهر ذلك فى عملية تقبل الأفراد للعناصر المستوردة من الثقافات الأخرى ، وأيضا فى كيفية إمكان تفسير عملية تغير الثقافة ، دون أن تقتبس عناصر جديدة من ثقافات أخرى . كما أن عملية التعلم لا تفسر كيفية حـــدوث الخاصيه التكامليه والتوفيقيه فى العقل البشرى ، وكذلك لاتفسر علاقة الفرد الانفعاليه بالبيئه المحيطه به . وفى ضوء ذلك اهتم العلماء بدراسة مفهوم الثقافه ، حيث اقتصر فى بادىء الأمر على السمات الثقافية ، وهى عبارة عن المظاهر السلوكيه التى يتميز بها أعضاء مجتمع ما . وقــد عالج العلماء هذه السمات على أنهـا فطريه ومنعزلة بعضها عن البعض الآخر ، ولكن علماء الاجتماع أدخلوا فيما بعد مفهوم النظم الثقافيه ، وهى تشكيلات تضم سمات ثقافيه يرتبط بعضها ببعض إرتباطا وظيفيا ، وهذه النظم تمثل وحدات ديناميه داخل الاطار الثقافى . ولذلك أصبح الامر يحتاج إلى الاستعانه بأساليب فنيه جديدة للتوصل إلى نتائج هامة بشأن العلاقات المتبادلة بين النظم القائمه داخـــل الثقافه

(1) Kardiner, Abram, The psychological frontiers of society, 1945. chp. XVII.

الواحدة ولهذا يعتبر الاسلوب السيكولوجى أجدى هذه الأساليب فى قدرته على استقصاء دقائق العمليات التكيفية . التى تمثل ردود فعل الانسان نحو بيئته الطبيعيه والبشريه (١) .

وقد استندت المحاولات الأولى التى بذلت للتـأكـد من العلاقات بين النظم العاملة ضمن الثقافه الواحدة ، على مفاهيم علم النفس المرضى ، فتكون بذلك مفهوم النمط الثقافى السيكولوجى . غير أن هذه المحاولات قد غالت فى الاستناد على الرأى القائل بوجود تشابه دقيق بين المجتمع والفرد ، ومن ثم عجزت عن تقديم أساس يصلح لتطوير مفهوم دينامى للمجتمع . وكل ما قدمه النمط الثقافى هو وجود نوع من العلاقه يربط دائما بين الشخصية والنظم ، ولكنه لم يتعرض إلى طبيعة هذه العلاقه بطريقه تجريبيه حتى يمكن التحقق من صحتها (٢) .

وعندما حاول العلماء تطبيق الأساليب السيكولوجية فى دراسة الظواهر الثقافيه فى المجتمعات البدائيه ، إعترضت محاولاتهم صعوبة إختيار الاسلوب السيكولوجى المناسب للدراسه فقد اتضح لهم أن الطرق السيكولوجيه الكلاسيكيه (بما فيها السلوكيه) وكذلك الطرق التى تعتمد على سيكولوجية الجشطالط , لا تمكنهم من دراسة هذه المجتمعات وذلك لأنها لا تمثل إلا محاولات متفرقه ومتباعدة لتطبيق أساليبها على المشكلة .

وأمام هـــذه الصعوبات اتضح للباحثين الأنثروبولوجيين أن التحليل

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.

النفسى هو أنسب الاساليب للقيام بهذه المهمه ، ولكن الصعوبة التى ظهرت أمامهم أن « فرويد » نفسه لم يطور أسلوبا تجريبيا حتى يمكن التأكد من صلاحيته ، على الرغم من المحاولات الاولى التى بذلها لتطبيق التحليل النفسى على الظواهر الاجتماعيه التى يتناولها علم الاجتماع بالدراسة .

وبوجه عام يمكن القول بأن فرويد قد كرس جهوده لكى يؤكد أن الظواهر السيكولوجيه التى نلاحظها فى الإنسان الحديث ، توجد أيضا فى المجتمعات البدائيه : إلا أن الدراسات التى قام بها مالينوفسكى قد كشفت عن كثير من المفارقات فى المجتمعات البدائية التى قام بدراستها ، إذ كثير من الظواهر السيكولوجيه التى أشار إليها فرويد وأعتقد أنهـا توجد فى المجتمعات الانسانية سواء بدائيه أو متحضرة لايظهر لها وجود . ويرجع ذلك إلى قصور منهجى عند فرويد ، فقد إستند على المادة الاثنوجرافيه التى تتناسب مع نظريته وأغفل فى الوقت ذاته المادة الاثنوجرافية التى قد تبطل نظريته .

وكذلك من مظاهر القصور المنهجى عند فرويد أنه فصل المـــادة الاثنوجرافيه عن النسق الاجتماعى وحاول أن يدرسها ويحللها فى ضوء نظريته بعيدا عن واقعها الاجتماعى ، مما أدى إلى تناقض فى كثير من جوانب نظريته فى التحليل النفسى .

وقد أثبتت البحوث الأنثروبولوجية وجود جوانب كثيرة من أوجه القصور فى جوانب نظرية التحليل النفسى .

المنظور الأنثروبولوجى للثقافة والشخصية :

يعتبر علم الثقافة والشخصية نقطة لقاء بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس ، وقد بدأ الاهتمام بدراسة « الثقافة والشخصية » بعـــد أن نشر إدوارد سابير EDWARD SAPIR مقالته بعنوان « ظهور مفهوم الشخصية فى دراسة الثقافات » فى مجلة علم النفس الاجتماعى سنة ١٩٣٤ . كما عالج « سليجمان SELIGMAN » هذا الموضوع فى أنجلترا ، وذلك من خلال مقال نشره بمناسبه تعينه رئيساً للمعهد الملكى الأنثروبولوجى ، ويدور هذا المقال حـــول العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس . كما تناول ليفى ستراوس Levi Strauss هذا الموضوع فى المقدمة التى صدر بها مقالات « مارسيل موسى »[1] .

وقد أدى تشعيب موضوع الثقافة والشخصية إلى موضوعين متمايزين هما « الثقافة والشخصية » إلى دراسة كل منها بعيداً عن الآخر ، وقد نتج عن هذا التمايز كثير من المشاكل المنهجية والنظرية . ويرجع النظر إلى الثقافة والشخصية كموضوعين متمايزين ، أصلا إلى التمييز بين العلوم الاجتماعية والسيكولوجية عموما ، مما أدى إلى صعوبة تفسير بعض المواقف التى تتصل بطبيعة وسلوك الانسان فى المجتمـع ولـكن ظهور الاتجاه « الفرويدى » أسهم بقدر كبير فى تصورطبيعة الانسان وخصوصاً فى تحديد معالم نموذج الشخصية ، وظهرت أثار هذا الاتجاه على العلوم السيكولوجية والاجتماعية

(1) Hallowell, Irving, Culture, Personality and Society , from Anthropology today - (ed) by A.L. Kroeber, 1953 .

فى القرن العشرين ، وقد كان التحليل النفسى فى الربع الأول من القرن العشرين مرجحا على الأنثروبولوجيا ولذلك كان كثير من رواد المنظور الأنثروبولوجى فى الثقافة والشخصية ينتمون إلى مدرسة التحليل النفسى مثل إريك فروم Erich Fromm وإبرام كاردينر Karciner Abram وإريك أريكسون Erik Erikscn وهكذا نظر علماء النفس التحليليين إلى الشخصية ومشاكلها السيكولوجية من خلال منظور سيكولوجى ، وعالجوا هذه المشاكل بعيدا عن الثقافات ، وأعتقدوا أن الظواهر السيكولوجية تتواجد فى جميع المجتمعات ، مثل عقدة أوديب ومشاكل المراهقة فهى تسود كافة المجتمعات الإنسانية ، ولا تختلف من مجتمع إلى آخر (١) .

وقد ساعد مفهوم كربر عن ظاهرة « ما فوق العضوى » للثقافة ، على أعتبار أن الثقافة شىء منفصل عن الأفراد ، ولذلك أسهم فى تدعيم فكرة أنفصال « الثقافة » عن « الشخصية » وقد أوضح فكرته هذه بأن التاريخ فى تقدمه إنما يحدث مستقلا عن ميلاد الشخصيات ، كما تتجاوز الثقافات عقول وأجسام الأفراد الذين يعيشون هذه الثقافات . ولكن هذه النظرة قد أنتقدت على أساس أن الثقافة لا يمكنها أن تتواجد بدون الفرد ، ولكى تأخذ الظاهرة شكلا موضوعياً ، لا بد وأن تكون أولا ممثلة فى فكر الانسان ، ولهذا فان « هيرسكوفيتس » يرى أن عملية الفصل هذه لا تحدث

---

(1) Ibid .

فقط إلا فى عقل الباحث ، وكذلك أيضاً لاحظ الباحثون الأنثروبولوجيون الفروق الفردية والاختلافات الثقافية فى كل مجتمع . فقد لاحظ هذه الفروق « جون كرو » CROW JOHN فى الجزء الشمالى الغربى فى جمايكا JAMAICA وأيضاً لاحظ « جون جيلين » GILLIN JOHN .

هذه الفروق فى مجتمعات بدائية كثيرة [1] ، ويرجع الاهتمام الأكبر فى دراسة الثقافة والشخصية إلى « كلاكهون وموورير Klackhon & Mowrer حيث قدما تحليلات شاملة لكل مكونات الشخصية سواء كانت بيولوجية ، أو البيئة الفيزيقية والاجتماعية ، أو الثقافية ، وكذلك أيضاً المذاهب والجماعات السلالية ، والدور ، والخصوصيات المزاجية . وقد حدد « كلاكهون وموورير » أربع محددات أساسية وهى الجسمانية Constitutional ، أعضاء الجماعة Group Membership والدور Role والمركز الإجتماعى Situatical ولذلك يفسران الفروق التى لوحظت فى شخصيات الكائنات الانسانية ، بأنها ترجع إلى الاختلافات فى أمكانياتهم البيولوجية وفى البيئة الكلية ، التى يتكيفون بالنسبة لها ، بينما ترجع التشابهات إلى التناسقات البيئية والبيولوجية [2] .

وفى ضوء الدراسات الانثروبولوجية الميدانية التى أجراها هؤلاء العلماء وغيرهم عن الثقافة والشخصية ، أصبح من المؤكد أن المجتمع ، والثقافة والشخصية لا يمكن أعتبارهم متغيرات مستقلة . فالإنسان ككائن

---

(1) Hsu, Francis, op. cit., 1961.

(2) Ibid P. 3.

عضوي يعتبر مركز ديناميكي للخصائص المزاجية Moces والعمليات التكيفية، ولذلك تعتبر هذه العمليات من خصائص الوجود الانساني، مما يؤكد بأن المجتمع والثقافة والشخصيه، ظاهرة انسانية وحدة متكاملة، وهذا التكامل في حقيقة الأمر إنما يعني أستمرار الأنسان. ومما يساعد الانسان على هذا الإستمرار أنه من خلال منظور التطور، نجد أن المستوي الوظيفي الوراثي للانسان يتضمن إمكانيات عضوية للتكيف، ومن أهمها الوراثة السيكولوجية. وحتى تتحقق هذه الامكانيات، لا بد وأن تتوافر شروط محددة خارج التكوين العضوي للإنسان، ومن أهم الشروط التي تسهم في تحديد معالم البناء السيكولوجي للفرد هو وجوده مع كائنات إنسانية أخري، وجودا فزيقيا وأجتماعيا، وأن أي محاولة للفصل بين هذين الجانبين يجعل تحقيق هذه الامكانيات الوراثية آمراً صعبا[1].

وهكذا يستند تطور خصائص البناء السيكولوجي للانسان، على أكتساب الخبرة الاجتماعية المباشرة، وذلك من خلال تفاعله مع الآخرين. ولذلك يتطلب المجتمع الانساني، علاقات منظمة، وأدوارمتمايزة، وأنماط من التفاعل الاجتماعي.

وهذه المتطلبات ما هي الا أنعكاس وظيفي لقدرة الإنسان على التكيف الاجتماعي من خلال عملية التعلم، أي أن المجتمع الانساني يعتمد أساسا على العمليات السيكولوجية وأيضا فان أستمرار أي نظام أجتماعي أكثر من الفترة المقررة له، إنما يقوم أساسا على العمليات السيكولوجية، وخاصة في

---

(1) Hallowell, op. cit.

المراحل التي يحل فيها الأشخاص محل بعضهم ، فان أي شكل خاص للتنظيم الإجتماعي للانسان ، لا يتطلب فقط إضافة أفراد جدد عن طريق التوالد ، ولكن أيضاً يتطلب إضافات جديدة في البناء السيكولوجي للفرد حتى يمكنه أن يعمل بطرق محددة . وفي ضـــوء ذلك فان الإمكانيات السيكولوجية للانسان لابد أن تتكامل ، بغرض المحافظة على البناء الاجتماعي ، مما يصعب معه وضع حد يفصل بين الفرد والمجتمع [1] .

ولذلك تعتبر عملية التنشئة الإجتماعية للفرد من العمليات السيكولوجية الهامة التي تساعد على إحداث هذا التكامل ، الذي يهدف إلى المحافظة على البناء الإجتماعي ، فهي عملية سيكولوجية تصاحب النضج الفيزيقي للفرد ، حيث تتكامل مع هذا النضج بطرق مختلفة . فالإنسان الفرد عند ميلاده ، يكون لديه أستعدادات بسيطة ومحـــددة لأداء بعض الوظائف البسيطة . ويعتمد النضج السيكولوجي في مراحل نموه على تنظيم الإمكانيات الفطرية لكي يتمكن من أداء العمل مستقلا في مجال الحياة ، الذي يشتمل على أدوار كثيرة وأنماط متعددة من التفاعل الاجتماعي . ولهذا تعتبر عملية التنشئة الإجتمـاعية من النـاحية الوظيفيـة شرط ضروري لاستمرار البنـاء الاجتماعي .

وأيضاً من العوامل التي تسهم في أستمرار البنـاء الإجتماعي ، هـو أستمرار الكائنات الإنسانية في تشييد البيئة السلوكية الثقافية . وتعتبر هذه البيئة هي إطار بناء الشخصية حيث تقوم القيم والتقاليد بدور حيوي

---

(1) Ibid .

فى تنظيم الحاجات والأهداف ، كما تسهم فى إعادة وتوجيه وتنظيم الخبرة ، وذلك من خلال عمليات الاكتشاف والاختراع والتغير الثقافى [١] .

وهذه العوامل كلها لا يمكن التعبير عنها وظيفياً ، إلا إذا توافرت أنساق الاتصال الرمزية ، فالإتصال الرمزى يعطى للعالم معانى وقيم ، تتكون وتتناقل فى المجتمعات الإنسانية . ولذلك يعتبر الاتصال على هذا المستوى شرط ضرورى لتواجد المجتمعات الإنسانية ، ونتيجة لتوافر هذه الأنساق الرمزية فى المجتمع البشرى لا يوجد انقسام طبيعى بين التنظيم السيكولوجى للفرد والثقافة والمجتمع .

الصعوبات المنهجية فى دراسة الثقافة والشخصية :

وإذا ما تناولنا دراسة الثقافة من الناحية المنهجية ، فان الباحث الأنثروبولوجى يواجه صعوبات فى دراسة الظواهر الثقافية ، فقد أوضح رالف لينتون [٢] أن الثقافة تتضمن وجهين أساسيين ، أحدهما الوجه الظاهر Overt ، وهو ثابت ومحسوس ويمكن ملاحظته وتسجيله مباشرة بواسطة الآلات الميكانيكية كالتصوير الفوتوغرافى ولذلك يسهل تصحيح أى خطأ بسهولة . أما الوجه الآخر وهو ما يعرف بالثقافة الباطنة Emic View ويعتمد الباحث فى دراسة هذا الجانب من الثقافة على النظرة الباطنية .

وحيث تشكل العلاقات التى تحدث بين سيكولوجية الفرد والثقافة ،

---

(1) Ibid .

(2) Linton, Ralph, The Cultural background of Personality, New York, 1945 P. 40 .

موضوع الملاحظة والدراسة . فان الظواهر السيكولوجية الثقافية يصعب دراستها دراسة موضوعية ، وذلك لأنه كثيراً ما تتدخل الأحكام الذاتية رغم التطورات الفنية التي تساعد على الدراسة الموضوعية . ولذلك يتجه الباحث الأنثروبولوجي في دراسة الظواهر السيكولوجية التي تتصل بموضوع الثقافة والشخصية ، إلى أستخدام العنامل وأدوات الضبط والإختبارات السيكولوجية مثل أختبار رور شاخ . وحتى إذا ما توافرت لديه هذه الإمكانيات المنهجيه في الدراسة ، إلا أنه قد يطبق هذه الإجراءات على عينة عشوائية بسيطة من المجتمع . مما يقتضى من الباحث الأنثروبولوجي أن يزيد من قدرته على الأنصال والتفاعل مع الأفراد ، الذين يجرى عليهم بحثه الميدانى فلا يتعامل معهم على أنهم مجرد وحدات فى جداول إحصائية ، وإنما يتعامل معهم كأفراد لهم دوافعهم وحاجاتهم الإجتماعية . وحتى يتحقق ذلك يجب أن يعيش الباحث الأنثروبولوجي مع هؤلاء الأفراد ليعمق من درجة التفاعل معهم وتكوين علاقات إجتماعية تساعده على إجراء البحث ، وتفيده فى الحصول على المعلومات التى يحتاج اليها فى بحثه ، وتعرف هذه العملية بعملية التطبيع الإجتماعي للباحث .

والواقع أن القيام باجراء الملاحظة وتسجيل الوقائع فى المجتمعات البدائية يعتبر أمر بالغ الصعوبه وذلك لأسباب متعددة ، ومن أبرز هذه العوامل أن تطوير التكنيكات الموضوعية والدقيقة بالنسبة لدراسة الشخصية لا يزال فى دور التطوير بالرغم من أن أختبارات رور شاخ قد ثبتت قيمتها ، إلا أن بعض الباحثين قد أدركوا أن تطبيق هذه الاختبارات لما

حدود معينة فى التطبيق لا تستطيع أن تتجاوزها (١) .

ولذلك فان معظم الأنثروبولوجيين يعتمدون فى دراساتهم على الملاحظة والاختبارين أى أنه من الضرورى أن يستخدم الباحث الأنثروبولوجى فى دراسة الثقافة والشخصية نفس المنهج وأدوات البحث فى دراسة الظواهر الاجتماعية فى الدراسات الحقلية للأنثروبولوجيا الإجتماعية ، بالإضافة إلى التكنيكات السيكولوجية الأخرى .

(1) Ibid . P. 41 .

المبحث الثانى

الاتجاه المشروط فى المنظور الأنثروبولوجى للثقافة والشخصية

مدخــــل

تحليل البناء الثقافى — المجتمع والنظم الثقافية .

تحليل ظاهرة انتقال الثقافة — النمط الثقافى .

تحليل بناء الشخصية — دور الثقافة فى تكوين الشخصية .

الاتجـاه المشروط فى المنظور الأنثروبولوجى للثقـافة والشخصيه

مدخـــــل :

لقد ظهر الاتجاة المشروط فى دراسة الشخصية Mocal Perscnality أو الشخصية الأساسية Basic Personality عند كل من رالف لينتون Lintcn وإبرام كاردينز Karciner فى أواخر عام ١٩٣٠ ، وقد أعتبر هذا الاتجاه فى ذلك الوقت ، هو أكثر المفهـــومات النظرية فى الثقافة والشخصية قبولا لدى معظم العلماء . والواقـع أن المفهوم الرئيسى الذي تأسس عليه الاتجاه المشروط في الثقافة والشخصية هو نظرية فرويد ، بعد أن أدخل عليها إبرام كاردينر ورالف لينتون تعديلات سطحية لم يكن لهـا تأثير كبير فى تغيير جوهر نظرية فرويد فى التحليل النفسى ، وأطلق على نسقه النظرى أسم « الشخصية المشروطة » Mocal Perscnality أو بنـاء الشخصية الأساسية Basic Perscnality . وينهض هذا النسق النظرى على أساس دراسة علاقة النظم بعضها ببعض ، ولـكن هذه العلاقة بين النظم لا تحدث مباشرة ، وإنما أتخذ الأفراد الذين يكونون المجتمع كوسيط بين علاقة هذه النظم بعضها ببعض فأوضح بذلك نوعين من النظم ، النوع الأول هو النظم الأولية وهذه تؤثر فى شخصية الطفل وتشكلها ، ثم بعد ذلك تدخل هذه النظم فى علاقات مع النظم الأخرى التى تعرف بالنظم الثانوية وذلك عن طريق تأثير الأفراد فى هذه النظم .

وقد أسهم كل من رالف لينتون وإبرام كاردينر بدراسات عديدة لتوضيح أن الشخصية هى نتاج للثقافة ، ولـكى نتتبع هذا الاتجاه سوف

يتناول الباحث مناقشة وتحليل البناء الثقافى وأثره فى تكوين الشخصية عند رالف لينتون ثم بعد ذلك يعرض لمناقشة منظور إبرام كاردينر عن الشخصية الأساسية .

تحليل البناء الثقافى :

يفضل « رالف لينتون » Lintcn عند دراسة موضوع الثقافة والشخصية أن يستخدم تعريف الثقافة بأنها الصيغة العامة للسلوك المتعلم ، ونتائج السلوك هى العناصر التى تؤلف هذه الصيغة كما أنها مشتركة وتنتقل بواسطة أعضاء المجتمع الخاص بها [1]. ويتضمن تعريف « لينتون » للثقافة ثلاث جوانب ، الأول وهو أن أصطلاح الصيغة العامة تعنى أن السلوك ونتائجه المختلفة تنتظم فى نمط كلى ، أما السلوك المتعلم ، فهو الذى يحدد المناشط التى تصنف كجزء من الصيغة العامة للثقافة ، ويتعدل محتوى هذه الصيغة بعملية التعليم .

فالسلوك الغريزى والحاجات الأساسية أو التوترات التى تثير المحركات الأساسية للسلوك لدى الفرد ، لا تعتبر أجزاء فى الثقافة ، رغم تأثيرها الواضح على الثقافة . ولذلك فان التغاضى عن العوامل الفطرية من المفهوم الثقافى يجعلها أقرب إلى الموضوعية ويعمق ميدان دراستها ، إذ ترتبط العمليات الفسيولوجية لدى الانسان بالأفعال السلوكية المصاحبة ، وتتعدل هذه الأفعال عن طريق الخبرة التى يكتسبها من المجتمع . فالطعام كأستجابة للحاجة الفسيولوجية الغذائية ، يصاحبها سلوك معين يتمثل فى طريقة تناول

(1) Ibid .P. 32.

الطعام ، وهذا السلوك يتعلمه الفرد من المجتمع الذى يعيش فيه . أما عن كلمة « السلوك » فى صورها المتعددة فهى تتضمن كل أفعال ومناشط الفرد الجسمانية والسيكولوجية ، وأيضاً التعلم والتفكير وكل شيء يدخل فى محتوى السلوك حتى العمليات العقلية ، فهى تندرج تحت مفهوم هـــذا الاصطلاح . وتتميز نتائج السلوك بخاصيتين الأولى وهي مادية والثانية هى العمليات السيكولوجية ، ويندرج تحت العمليات السيكولوجية ما يعرف بأنساق القيم والمعرفة . ويشير تصنيف نتائج السلوك إلى تفاعل الفرد مـع البيئة ، فالفرد عندما يواجه نظاماً جديداً يحدث لديه رد فعل ، ليس فقط فى موضوعيته ولـكن أيضا فى أتجاهـاته وقيمه ومعـارفه التى أكتسبها من خبراته الماضية ، ويعترض علماء الاجتماع على تضمين النتائج السيكولوجية فى محتوى الصيغة الثقافية ، إلا أن بعض العلماء الأنثروبولوجيين يؤيدون تأثير العناصر السيكولوجية فى محتوى الصيغة الصيغة الثقافية فى دراستهم للثقافة والشخصية ، وذلك لأعتقادهم أن الشخصية هى نتيجة الصيغة الثقافية التي تسود مجتمع ما .

ويتناول الجانب الثانى فى تعريف « لينتون » للثقافة تحليل أصطلاح مشاركة وأنتقال « فكلمة » « مشاركة » لا تؤخذ بمعنى النمـط السلوكي الخاص ، وانما هي أتجاه أو جزء من المعرفة يشيع أستعماله عند أكثر من أثنين من أعضاء المجتمع ، أما السلوك الجزئى الخاص بالفرد فى مجتمع ما ، لا يعتبر جزءاً من ثقافة هذا المجتمع [1] .

فالأختراعات التي تنشأ من شخص واحد أو من جمـاعة صغيرة تعتبر

---

(1) Ibid , P. 35 .

سلوك فردى طالما أنه غير متداول بين أعضاء المجتمـــع الذى يعيش فيه الفرد .

ومثال على ذلك فإن « حرفة السلال » لا تصنف كجزء من الثقافة ، إذا لم تكن معروفة إلا عند الشخص الذى أخترعها فقط ، ولكنها تعتبر جزء من الثقـافة متى تصبح متداولة بواسطة الأفراد الآخرين ، وبفضل عامل التداول تكتسب الثقافة صفة الاستمرار والأطراد .

وتتحدد فكرة التداول أو المشاركة التى يتضمنها الجزء الخاص فى الصيغة الثقافية ، باطراد وأستمرار ثقافة المجتمع ، كما أنه لا يجب أن يفهم من أصطلاح « المشاركة » أن الثقافة يتداولها كل أعضاء المجتمـع فـترة طويلة من الزمن ، فالعنصر الثقافى لا يمكن أن يتداوله كل أعضاء المجتمـع ويبقى مدة طويلة من الوقت بداخله .

وتؤثر عملية التعليم والتثقيف والتقليد فى مشاركة وأنتقال عناصر السلوك بين الأفراد . وقد تستغرق هذه العملية فترة طويلة من الزمن ، تتناسب مع ظروف المواقف المختلفة ، ولذلك تنتقل معظم العناصر التى تكون الصيغة الثقافية من جيل إلى جيل ، ويظل تداولها بين أعضاء المجتمع .

كما أن الخصائص البيولوجية والوراثية تمد كل فرد بقدرات خاصة تساعده على التكيف مـع البيئة التى يعيش فيها ، وتظهر هذه التكيفات فى نماذج سلوكية محددة ، شارك فى تطويرها أعضاء المجتمع الأوائل ، وتنتقل هذه النماذج السلوكية عن طريق عمليات التعليم مما يساعدهم على التـكيف السريع مع البيئة (1) .

---

(1) Ibid .P. 36.

وتنتقل هذه التكيفات السلوكية إنتقالا متوازيا ، مع انتقال وتكوين التكيفات الفسيولوجية التى نشأت وتكونت بفضل الأجداد الأولين، وأيضا كنتيجة لعمليات التطور والاختيار الطبيعي. ويمكن التدليل على ذلك من مثال فى مجتمع « النجرو » فى غرب أفريقيا ، فقط تطورت امكانيات الثقافة فى الحصول على الطعام من أدغال الغابات وذلك بمرور الأجيال ، وانتقال هذه الإمكانيات الثقافية إلى الأفراد عن طريق التعلم ، كما إنتقلت إليهم التكيفات الفسيولوجية الخاصة بقوة المناعة ضد الاصابة بالملاريا بفعل الوراثة الناتجة عن تعاقب الأجيال .

وأخيراً يتناول « لينتون » تحليل الجانب الثالث من تعريف الثقافة ، فيوضح أن كلمة الثقافة تشير إلى نوعين من الظواهر ، النوع الأول هو التنظيم الاجتماعي للسلوك والنوع الثانى هو المنتجات المادية . كما أن اصطلاح الثقـافة يتضمن مستويين ، الأول ويعرف بالثقافة الظاهرة Overt culture والثانى ويعرف بالثقافة الباطنة Covert culture وهذا المستوى يشتمل على الأفكار والمشاعر وكل الظواهر التى لا يمكن ملاحظتها مباشرة ، إذ يمكن فقط ملاحظة الثقافة الباطنة أثناء الحديث والنقاش أو من خلال تحليل أعمال المنتجات المادية [١] .

ويصنف لينتـون الثقافة فى ثلاث مراتب مختلفة ، التصنيف الأول ويشتمل على الثقافة المادية ، وهذه تمثل نتـائج التصنيع ، أمـا التصنيف

(1) Ibid. p. 38.

الثانى يشتمل على السلوك الظاهرى الحركى ، والتصنيف الثالث ويشتمل على الثقافة السيكولوجية مثل المعارف والإتجاهات والقيم التى يتشارك فيها أعضاء المجتمع . ويندرج التصنيف الأول والثانى للثقافة تحت مقولة المظاهر الثقافية المادية فى المجتمع ، أما التصنيف الثالث للثقافة يقع تحت مقولة المظاهر الثقافية غير الظاهرة ، وأن كل من المقولتين للثقافة الظاهرة وغير الظاهرة لازمة فى فهم السلوك الإنسانى ، ولكنهما مختلفان من حيث المشاكل المنهجية التى تواجه الباحث عند دراسته للثقافة .

ويميز « لينتون » بين الثقافة الظاهرة والثقافة غير الظاهرة ؛ بأن الأولى تعتبر عامل أساسى فى أنتقال الثقافة ، أما الثانية وهى الحالات السيكولوجية ليس فى قدرتها الأنتقال ، وتنتظم كل من الثقافة الظاهرة وغير الظاهرة ، حول إشباع الحاجات الأساسية مما يعطى النظم الإجتماعية للانسان طابعاً مميزاً . وهذه النظم تعتبر جوهر الثقافة وبذلك تترابط نظم الثقافة لتكون نمطاً يميز كل مجتمع على حدة .

المجتمع والنظم الثقافية :

يتضح من خلال تحليل « رالف لينتون » للثقافة أنها تشتمل على وجهين ، الوجه الظاهر وهو يتمثل فى السلوك والنظم ، والوجه غير الظاهر وهو يتضمن العمليات السيكلوجية مثل الإتجاهات والقيم . وفى ضوء ذلك تتكون الثقافة الحقيقية لأى مجتمع من السلوك العملى لأفراده وهى تشتمل على عدد كبير من العناصر السلوكية ، التى تنتظم فى إطار واحد يسمى

---

(1) Ibid . P. 39.

نمطاً ثقافياً يظهر واضحاً فى المواقف الإجتماعية ، وتتحدد على ضوء هذا النمط الثقافى النظم التى يتبعها أعضاء المجتمع الخاص . فالنمط الثقافى الذى يسود المجتمع القروى يتحدد على أساسه نظام الزواج ، بينما نجد أن هـذا النظام يختلف عن نظيره فى المدينة وذلك لإختلاف النمط الثقافى الذى يسود مجتمع المدينة . كما يحدد النمط الثقافى السلوك الذى يرضى عنه المجتمع ، فاذا أنحرف هذا السلوك عن النمط الثقافى السائد يقابل بالإستهجان والمعارضة من أفراد المجتمع ، أما السلوك الذى ينحصر داخل النطاق الطبيعي للنمط الثقافى يعتبر سلوكا سوياً [1] .

وبناءاً على ذلك فان نموذج الثقافة الحقيقية ، يتحدد بمدى الاستجابات الطبيعية للموقف الخاص ، وقد تكون الثقافة الحقيقية عبـارة عن صيغة مركبة من عدد كبير من الأنماط الثقافية ، ورغم تعدد هذه الأنماط داخل الصيغة الثقافية الواحدة إلا أنها تشارك فى التـكيف والتفـاعل الوظيفى . ويلاحظ أن كل أنماط الثقافة الحقيقية ليست جزءاً من السلوك ، ولكنها سلسلة من أنواع مختلفة من السلوك . ولذلك يستحيل وصف كل أجزاء السلوك الذى يجمع بناء الثقافة ، كما أنه قد لا تكتمل كل سلاسل السلوك التى تكون الإستجابات الطبيعية لكل مواقف أعضاء المجتمع ، الذين يتفاعلون مع بعض فى مواقف مختلفة .

ويتطلب إدراك مفهوم الثقافة ، الكشف عن البناء الثقافى ، أى تحديد العناصر السلوكية التى يقوم بها أفراد المجتمـع . فالباحث الأنثروبولوجى

(1) Ibid P . 48 .

عندما يدرس مجتمعاً خاصاً ، ويتضح له من خلال دراسة العناصر السلوكية لأفراده ، أنهم تعودوا الذهاب إلى الفراش للنـــوم ، ما بين الساعة الثامنة والعاشرة مساءاً ، فقد حدد بذلك جزءاً من السلسلة السلوكية التى تشتمـــل عليها الثقافه الحقيقية . بمعنى أن عادة الذهاب إلى الفراش فى هذا الوقت ، هو عنصر من العناصر السلوكية التى يتضمنها انمط الثقافى لهذا المجتمـع ، ومع أستمرار البحث والتقصى فى تحديد هذه الأنماط الثقافية المختلفة يستطيع الباحث أن يحدد الصيغة الكلية للبناء الثقافى . ومـع تضافر كل الأنماط الثقافة ينمو البناء الثقافى ، وبالرغم من أنه قد لا يتطابق بالضبط مع الثقافية الحقيقية ، إلا أنه يكون ملائما للحالات التى تتضمنها الثقافة الحقيقية (١) .

وقد أوضحت الخبرة الميدانية فى الدراسة والبحث أنه يمـــكن على أساس البناء الثقافى دراسة الثقافة الحقيقية والتفاعل بين محتويات أنماط هذه الثقافة ، وأيضاً يمـكن التنبوء بسلوك أعضـاء المجتمع فى المواقف المختلفة . ولذلك فان سلوك الفرد يجب أن يدرس فى علاقته مع الثقافة الخـاصة ، بالإضافـة إلى دراسته فى عـلاقته مـــع الثقـافة الكلية لمجتمعه . ومثـال على ذلك فان كل المجتمعـات تتوقع أختلاف سلوك الرجـال عن النساء ، ومـع ذلك لا يستطيع أحـد أن يفهم السلوك الخاص لأى رجل أو أمرأة بدون معرفة هذه التوقعات ، ولذلك فان الأنثروبولوجيين الذين يدرسون الثقافة والشخصية دراسة أنثروبولوجية يجب أن تكون لديهم صورة واضحة عن البناء الثقافى للمجتمـع موضوع الدراسة .

(1) Ibid P . 49 .

وقد تنشأ بعض الصعوبات أمام الباحثين فى هذا الميدان ، وذلك نتيجة للخلط فى التعريف بين المجتمع والثقافة ، ويمكن تذليل هذه الصعوبات إذا ما نظرنا إلى المجتمع على أنه جماعة منظمة من الناس تعلموا معا ، أما الثقافة فهى مجموعة منظمة من أنماط السلوك ـ وبالرغم من تداخل المجتمع مع الثقافة بدرجة وثيقة من الإتصال إلا أنهما متمايزان فى طبيعتهما المختلفة . ويصف كثير من السوسيولوجيين المجتمعات فى اصطلاحات التنظيم ، كما يستعمل اصطلاح البناء الاجتماعى ليشير إلى تداخل النظم ، والنظام ماهو إلا صيغة من الأنماط الثقافية لها وظائف هامة فى المجتمع [1] .

والواقع أن معظم حياة الانسان تدور حول علاقات وتفاعلات المجتمع والثقافة والفرد ، وعلى الرغم من أن الثقافة والمجتمع شيئان متلازمان ، إلا أنهما ظاهرتان من نوعين مختلفين ، يتصلان ببعضهما عن طريق الأفراد الذين يكونون المجتمع ويفصح سلوكهم عن نوع ثقافتهم . ويستطيع كل فرد أن يعبر عن جزء من الثقافة ، بينما لا يمكنه أن يعبر عن الثقافة كلها على الاطلاق ، كما يستحيل على الفرد أن يلم بجميع الأنماط الثقافية للمجتمع الذى يعيش فيه ، ورغم ذلك فان مجموع الأفراد الذين ينتظمون فى المجتمع ، يمكنهم وهم مجتمعون إدراك وممارسة الثقافة كلها . وتتصف الثقافة بالمرونة مما يجعلها قادرة على الاستمرار فى البقاء ، طالما يتواجد أفراد المجتمع ، وذلك لأن الثقافة هى النتاج الانسانى بشقيها الظاهرة والباطنه على حد تعبير « لينتون » [2] .

---

(1) Ibid. P. 56.

(2) Ibid. p. 57.

ولذلك ترتبط الثقافة دائما بالمجتمع ارتباطا وثيقا ويظهر هذا الارتباط في كثير من المواقف الاجتماعية ، ولهذا تقتضى كل ثقافة وجود جماعة ، وبما أن الثقافة شيء مشترك فوق الأفراد ، فهي بذلك لا تتواجد إلا بتواجد الجماعة . إذ أن ثقافة أي مجتمع ماهي إلا طريقة حياة أفراده ، التي تتمثل في مجموعة من الأفكار والعادات التي يكتسبونها ويشتركون فيها ، وتنتقل من جيل إلى جيل آخر .

وقد يعتبر البعض أن صور السلوك الجمعي ليست هي الثقافات ، وإنما هي إشارة إليها ، ولهذا يميزون بين الجماعة ، والثقافة ، بمعنى أن الجماعة هي هي مجموعة من الناس قد تعلموا الحياة معا ، والثقافة بمعنى صور الحيـــاة المميزة لهذه الجماعة ولذلك يكون موضوع دراسة الثقافات هو سلوك الشعوب والتقاليد المتراكمة .

تحليل ظاهرة أنتقال الثقافة :

يقتضى أنتقال أى عنصر ثقافى من جماعة إلى أخرى أتصالا مباشراً مستمراً بين هاتين الجماعتين فاذا ما تكون عنصر ثقافى جديد فى إحدى الجماعات ، فانه من الطبيعى أن ينتقل هـذا العنصر إلى المجتمعات القريبة من منبعه الأصلى ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى المجتمعات الأكثر بعداً . ويشتق هذا المبدأ من حقيقة أن الأنتشار الثقافى لأى عنصر يتطلب وقتا لإنتقاله ، وأيضا ضرورة الأرتباط بين المجتمعين ، فالعنصر الثقافى لا ينتقل فى فترة وجيزة . كما أنه لا يمكنه أن ينتقل إلى مجتمعات أبعد من منبعه الأصلى مرة واحدة ، وإنما يفعل ذلك بالتدريج فاذا كان لدينا ثلاث قبائل ولتكن أ ، ب ، جـ ، ومنطقة « ب » متداخلة بين أ - جـ وتمنع الإتصال المباشر بينهما ، فانأى عنصر ثقافى لا يمكنه أن ينتقل من أ إلى «جـ» بدون أن يمر بمنطقة «ب» لكى ينتقل بعد ذلك إلى « جـ » ، وإذا ما رفضته منطقة « ب » فسيظل محصورا فى منطقة « أ » ولن ينتقل منها [1] .

ومن هذا المبدأ الخاص بانتشار العناصر الثقافية للمناطق البعيدة فالأبعد ، تنبثق قاعدة أخرى وهى العناصر الثقافية الهامشية ، وهذه العناصر يمكنها أن تنتقل بصفتها المفردة ، أى يمكن أنتشارها عنصرا عنصرا دون أن تحدث أى خلل وظيفى فى المنطقة التى تنشر منها أو فى المنطقة التى تستقبلها . كما أن بعضا من العناصر الثقافية لا يمكنها أن تنتقل إلا مجتمعه وذلك

(1) Linton, Ralph, The Study of man ,New York, 1936 . P. 329 .

لصلتها الوظيفية داخل النسق الثقافى ، وكذلك لا يمكن تقبلها من المجتمع الآخر إلا بمجتمعه حتى تستطيع أن تقوم بوظيفتها داخل النسق الثقـــافى الجديد وعموما فان الانتشار الثقافى يتضمن ثلاث عمليات .

١ — إحضار العنصر أو العناصر الثقافية إلى المجتمع .

٢ — قبولها بواسطة المجتمع .

٣ — توافق العنصر أو العناصر المقبولة مع الثقافة التى تسبقها ، وتتأثر كل من هذه العناصر بعدد كبير من المؤثرات المختلفة .

وحتى تتحق عملية أنتقال العناصر الثقافية لا بد وأن تتوافر الروابط التى تؤدى إلى التـكيف الثقافى . والتغير الثقـافى ما هو إلا عملية إحلال عناصر قديمه ، وتعتمد عليه أستمرار التغيرالثقافى على مدى قبول أو رفض هذه العناصر الجديدة (١) .

النمـط الثقـافى :

أوضح « رالف لينتون » أن الثقافة الحقيقية تتكون من المجموع الكلى للسلوك ، الذى يتضمن أستجابات أعضاء المجتمع فى المواقف الخاصة الطبيعيه ، وحتى إذا ما أختلف الأفراد فيما بينهم إلا أنهم يستمرون فى توافقهم مع نمط الثقافة الحقيقى . ولذلك فان معظم التجارب المبكـرة للأفراد تستمد من سلوك الأشخاص الآخرين من ذوى التجارب السابقة وعلى أساس هذه الخبرات تنمو نماذج السلوك . ويتضح ذلك فى عـــلامة

---

(1) Ibid.

الاستنكار التي يظهرها الكبار ، عندما يأكل الطفل بأصابعه ، ومع أستمرار ملاحظتهم للطفل أثناء الطعام ، يقدمون له نموذج من الثقافة يتأثر به ؛ لأن معظم الحوادث التي تدخل في تكوين الشخصية معظمها من نوع تكراري . كما تتأثر الشخصية بأشكال التعليم ، بحيث يتلاءم السلوك مع الاستجابات التي تنشأ عند الطفل في سلوكه مع الآخرين .

ورغم أن هذا السلوك لا يتشابه في موقفين متتالين إلا أنه يتحدد تقريبا بسلسلة من السلوك التي تكون أنماط الثقافة الحقيقية . هذا بالإضافة إلى وجود علاقة بين أساليب السلوك المختلفة وأنماط الثقافة السائدة في المجتمع ، ورغم أختلاف السلوك إلا أنه يتضمن النمط الوظيفي للثقافة الخاصة ، الذي يظهر تأثيره على الفرد ويسميه الطبيعيون « ذو طبيعة متحدة الاتجاه » Convergent phenomena وتختفي هذه التأثيرات بعض الوقت وذلك لتجمعها في تكوين الشخصية . ويلاحظ أن الخبرة التي يستمدها الفرد من المشاركة في أي نظام لا تتأثر فقط بالنظام ، وإنما بقدرات الفرد وإدراكاته .

ويعتبر النمط الثقافي في مفهوم « كاردينر » Kardiner هو النظام ، ويشبهه بنموذج ثابت نسبيا يتكون من النشاط والفكر والشعور ، ويشير مفهوم النمط إلى التناسق بين النشاط والفكر والشعور المتواتر في حدوثه ، وبعد أن ينتظم هذا التناسق أجتماعيا تتكون الأنماط الثقافية من نوعين أحدهما مثالي والآخر واقعي[1] ،

---

(1) Kardiner. Abram, The Individual and his Society. New York, 1939 .P. 7.

ويتكون النمط المثالى من الفكر والمشاعر أى الأنماط السلوكية التى يجب أن يسلكها الفرد فعلا ، أما النمط الواقعى فى السلوك هو الذي يظهر فعلا فى معاملات الأفراد فى المجتمع ولذلك يعتبر التمييز بين السلوك الواقعى والسلوك المثالى فى دراسة ثقافة أى مجتمع أمر هام للباحث الأنثروبولوجى ومثال على ذلك يتميز سلوك الهنود الحمر الذين يعيشون فى الكاسكا بأنه سلوك عادى لا يتصف بالصفة العدائية ، ولكن هذا المظهر السلوكي ليس هو السلوك المثالى . ولكن السلوك الفعلي الواقعي يتصف بالمشاعر العدائية وغالبا ما يكتشف الأفراد المشاعر العدائية التى تحدث عند الفرد فى مواقف الإثارة وفى الحال يتجنبون هذا الفرد قبل أن تأخذ هذه المشاعر طابع السلوك العملي فعلا . ويلاحظ أيضا في المجتمعات المتمدينة يقدم الرجل المرأة Lacy at First إذ المفروض لا يجلس الرجل فى المركبات العامة بينما تقف المرأة ، وهذا هو ما يعبر عنه بالنمط السلوكي المثـــالى ، إلا أن كثيرا من الرجال لا يخضعون لهذا السلوك المثالى ، وإنما يظهرون نمطا سلوكيا آخر يعتبر فى مفهوم الثقافة النمط السلوكى الواقعى . وكذلك في المجتمعات الإسلامية فالدين الاسلامى يتضمن على أنماط سلوكية مثالية ، ورغم ذلك فقليل من الناس هم الذى يسلكون هذا السلوك المثالى ويتضح من خلال هذا التحليل ضرورة التمييز بين الأنماط الثقافية المثالية ، والأنماط الثقافية الواقعية عند دراسة الثقافة .

وقد أظهرت دراسة أنماط الثقافة فى قرية البنجاب ، أن نمط الحديث لسكان هذه القرية يتخلله نغمة العظمة كاعتزاز ، بل يسود هذا النمط من الحديث كل المجتمع الباكستانى حتى الأطفال أنفسهم . ويعتبر هـذا

النمط الثقافى عام أى يشمل المجتمع كله ، ولكن أحيانا ينحصر النمـــط الثقافى فى جزء خاص من المجتمـع فيكون بذلك نمطـا ثقافيا خاصا ، أو يكون نسبى لدى الجماعة بمعنى أن يكون النمط الثقافى الخاص مقصورا على فئة معينة أو يستخدم بواسطة طبقة خاصة من المجتمع ، أو يكون عام أى يستخدمه مختلف الأفراد والطبقات .

ويتكون البناء الثقافى من المجموع الكلى لنماذج الأنماط المختلفة التى تكون الثقافة الحقيقية ويتصل نموذج كل نمط بنوع الخبرة التى يستمدها الأفراد من إتصالهم بالثقافة الحقيقية . وقد لا تتكون لدى كل أعضاء أى مجتمع الخبرة الأولى لكل الأنماط الثقافية ، ولكنهم يكتسبوا هذه الأنماط بأتصالهم بالأنماط المتشابهة التى يشتمل عليها البنـاء الثقافى ، وتستمد هذه الأنماط وحدتها الاساسية من الإستجابات المختلفة . ويظهر ذلك عند تحليل تشابه الأطفال فى بعض المجتمعات فى عادة استمرار البكاء ، فقد وجد أن الطفل فى هذه المجتمعات لايتناول طعامه إلا فى حالات البكاء ، وذلك لأن الامهات يعتقدن أن الطفل لايبكى إلا إذا شعر بالجوع فيطعمن الاطفال دائما فى حالة البكاء ، ومع استمرار هذه الاستجابه لبكاء الطفل ، يثبت لديه حالة البكاء وتكون دائما مشروطه بالطعام . وهكذا يفسر التشابه الموجود بين أطفال المجتمع فى كثرة البكاء فى ضوء نمط المجتمع فى اطعام الطفل عند بكائه (١) .

وفى ضوء هذا التحليل يمكن تحديد العنصر الثقافى فى النمط ، إذا

---

(1) Ibid. pp. 26–27.

تكررت إستجابة أفراد المجتمع عند تكرار حدوث شيء معين ، مع مراعاة أن العناصر الثقافية ليست ثابتة على الاطلاق أو محددة المعالم . ولهذا تتصف الثقافة بالمرونة وقدرتها على تحمل ما يحدث من تغيرات عديدة دون أن تتعرض للتمزق والتفكك ، وكثيرا ما تكون العلاقات المتبادلة بين العناصر الثقافية العديدة ، قليلة التماسك إلى أبعد الحدود ، إذ يمكن إلغاء عناصر معينة من إحدى الثقافات أو إضافة عناصر أخرى ، دون أن يكون لذلك نتائج محسوسة تؤثر فى العناصر الاخرى التى تتواجد فى هذه الثقافات .

وإذا ماوجدت علاقات أكثر توثقا من ذلك ، ولا يظهر أثرها إطلاقا، وإنما تتضح هذه العلاقات غالبا فى حالات التغير ، عندما تضاف أو تحذف عناصر ثقافية معينة مما تحدث اضطرابا مفاجئا . ونعطى مثالا على ذلك ، عند إدخال عادة إستخدام النقود لأول مرة فى مجتمع كان يستخدم طرق المقايضة فى اقتصادياته ، يؤدى ذلك إلى ظهـــور تطورات فى العلاقات العائلية ، وفى أساليب الزراعة التى لم تكن معروفة لهم من قبل .

وإستطرادا لذلك ، فانه لا يمكن التغاضى عن التأثيرات العميقة التى تمارسها الثقافة على الأنماط المتعددة للتفاعل الاجتماعى ، وما يتخذه من صور نطلق عليها النظم الاجتماعية . وذلك لأن إنتقال بعض العناصر الثقافية الجديدة إلى المجتمع أو ظهور اختراعات جديدة ، وما يترتب عليه امن تغيرات تكنولوجية بعيدة المدى ، فانها تعيد ترتيب العلاقات الاجتماعية وتضع قواعد وأهدافا للسلوك الاجتماعى . ويقصد من ذلك أنه يحدث تعديلا فى العناصر الثقافية التى تكون الصيغة العامة للمجتمع ، حتى تتلاءم مع النظم الاجتماعية .

ولذلك يقوم الباحث الأنثروبولوجي عند دراسة ثقافة أى مجتمع ، بتحليل هذه الثقافة إلى العناصر الرئيسية التى تتكون منها هذه الثقافة ، حتى يسهل عليه فهم النمط الثقافى الذى يقوم بدراسته . ويعتبر العنصر الثقافى أصغر وحدة ثقافية ، ولذلك فهو لا يقبل التحليل ، ويطلق عليه إصطلاح سمة ثقافية Culture trait .

وعندما يقوم الباحث الأنثروبولوجى بتحليل النمط الثقافى الخاص بالملابس فى مجتمع قروى ، نجد أن العناصر الثقافية التى يتكون منهـا هذا النمط عبارة عن الطاقية والجلباب ، والعمة ، والطربوش ، وكل عنصر من هذه العناصر الثقافية يعرف « سمة ثقافية » أى أن السمات الثقـافية تعنى الوحدات الاولية التى يتكون منها النمط الثقافى . وكذلك فى النظم الدينية نجد القول بالإله الواحد أو بآلهه متعددة والقربان ، واليمين . . . إلخ ، كلها سمات ثقافية لأنها عناصر يتألف منها النظام الدينى . وكذلك الفأس والشادوف ، وضخ الماء بوسيلة معينة تعتبر سمات ثقافية لنظم تسود الحياة الزراعية أو الريفية فى بعض المجتمعات . ويستطيع العلماء عن طريق هذه السمات عقد مقارنة بين ثقافات الشعوب المختلفـة وعلاقتها بعضهـا ببعض ، ويمكن أن يتضح للباحث معرفة العناصر الثقافية المستعارة من ثقافة أخرى كما يمكن أن يكتشف التأثير المتبادل بين ثقافتين ، أو تأثير ثقافة واحدة على الآخرين .

وفى ضوء ذلك يمكن أن نشير بأن المقصود بالنمط الثقافى هو عبارة عن مجموع السمات الثقافية التى يتضمنها نظام معين مثل النظـام الإقتصادى ، والنظام عبارة عن عديد من الانماط الثقافية . أما الصيغة الثقافية فهى عبارة

عن دراسة الترتيب الخاص لتلك السمات والعلاقات المتبادله بين تلك الاجزاء ، مما يجعل لهذه السمات خاصية جديدة أو كلا ثقافيا جديدا .
وتشير الصيغة الثقافية إلى ظاهرة التكامل الثقافى Culture Integration إذ لا يمكن فهم أى نظام أو نمطا ثقافيا أو سمة ثقافية بمعزل عن غيرها من النظم أو الانماط أو السمات الثقافية الاخرى . وعليه لا يمكن فهم النظام العائلى السائد دون أن تفهم النظام الدينى ، وذلك لتكامل النظم داخل الثقافة الواحدة . ولذلك عند دراسة الثقافة يجب أن ندرس العلاقات المتبادلة والتأثير المتبادل بين السمات المختلفة ، والانماط والنظم ، التى تكون فى مجموعها ثقافة مجتمع من المجتمعات وبدون هذه الدراسة التكاملية لانستطيع أن تفهم هذه الثقافة ولا الأجزاء التى تتألف منها ، كما أنه لا يمكن أن نستطيع عقد مقارنة بين الثقافات الأخرى .

تحليل بنـاء الشخصية :

يتناول « لينتون » تحليل بناء الشخصية وذلك من خلال البحث عن معايير الشخصية التي ترتبط بالجماعات التي يتضمن عليهـا المجتمع ، فهو لايركز على معايير لشخصية منفردة وإنما يبحث فى عناصر الشخصية التى يشارك فيها كل أعضاء المجتمع ، وهذه العناصر تتنوع وتتخصص تبعـا لمواقف محددة يقرها المجتمع فقد يشترك كل من الرجال والنساء فى مجتمع ما فى نفس المواقف ، ولكن هذا السلوك المشترك يختلف بالنسبة لكل جنس Sex . وتوضيحا لذلك نجد أن كل من الرجال والنساء فى مجتمـــع ما يشتركون فى الخضوع للعرف كموقف اجتماعى عام ، ولكن النساء يعبرن عن هذا السلوك فى صورة خاصة من الأنماط السلوكية ، قد تظهـــر هذه الأنماط فى ارتداء الملابس بطريقة معينة تتفق مع العرف السائد فى هـذا المجتمع . ففى المجتمع القروى تعبر المرأة عن خضوعهـا للعرف بارتداء جلباب طويل ، ولكنها لا ترتدى السروال ، أما القروى فقد يعبر عن هذا الموقف بسلوك أكثر عمومية ، فقد يرتدى جلبابا وأحيانا سروالا ، وقد يخلع الجلباب فى الحقل ويكتفى بالظهور بالملابس الداخلية . وذلك لأن موقف الخضوع للعرف الذى يتشارك فيه مع المرأة يعطى للقروى فرص أكثر عمومية فى التعبير [1] .

كما تظهـر أيضا أهميـة هذه المعـايير فى دراسة الأشكال الاجتماعيـة للاستجابات تبعا لنوعية الجماعات التي يتألف منها المجتمع . فنجد أن هذه

---

(1) Linton, Ralph, op· cit·, 1945 p. 129.

الأشكال تختلف بالنسبة للرجال ، والنساء والشباب والمراهقين ، كما أن هذه الاستجابات تختلف في أشكالها في المجتمع الطبقي وأيضا تختلف هذه الاشكال تبعا لاختلاف المراكز . والمركز هو الوضع الاجتماعي لفرد ما بالنسبة لغيره من أفراد المجتمع ، ويميز « لينتون » بين نوعين من المراكز، النوع الأول وهو المراكز الموروثة Ascribed status وهي مراكز يرثها الفرد عن والديه ، بمعنى أنهـا مفروضة عليه منذ ميلاده ، فالطبيعة البيولوجية للفرد تفرض عليه دوره في الجنس ، سواء كان ذكر أو أنثى ، كما يفرض عليه عمره مركزا معينا في النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه. أما النوع الثاني هو المراكز المكتسبة Achived status وهذا النوع من المراكز يحصل عليه الفرد نتيجة مجهوده الشخصي ، وتظهر أهمية الاشخاص الذين يحتلون مكانة اجتماعية في المجتمع في تأثيرهم على نمـط الشخصية الاساسية . وذلك لأن الشخصية التي لها مكانة اجتماعية تتضمن على أنساق من القيم تتميز عن الانساق التي يشتمل عليهـا نمـط الشخصية الاساسية ، بنوعية الاستجابات المفتوحة . وغالبا ما يدرك أعضـاء الجماعات الاخري نسق القيم الذي تتضمنه الشخصية التي لها مكانة اجتماعية مميزة ، إلا أن هؤلاء الاعضاء لا يشاركون هذه الشخصية في نسقها القيمي . ولهذا فان نوعية الاستجابات المفتوحة هي التي تعطي الشخصيات ذات المكانة (١) الاجتماعية معناها الاجتماعي ، وحيث أن الشخص هو الذي يطور هذه الاستجابات ، فهو يستطيع أن يؤدي وظيفته بنجاح في المرتبة الاجتماعية التي يشارك في أنساق اتجاه قيمها .

---

(1) Linton, R, op. cit, 1936 p. 115.

أما عن الشخصية الاساسية فى المجتمع ، فهى تتحدد فى ضوء ثلاث فروض ، الفرض الاول ما هو مدى تأثير العوامل الفسيولوجية فى تحديد الشخصية ؟ والفرض الثانى إلى أى حد تكون هذه المحددات الفسيولوجية وراثية ؟ وأخيرا الفرض الثالث ما هو إحتمال إنتشار هذه المحددات الوراثية فى المجتمع حتى تؤثر على نمط الشخصية الاساسية ؟ .

بالنسبة للفرض الاول ، فالشخصية هى صيغة للاستجابات تكونت لدى الفرد ونمت على أساس من الخبرة ، التى يستمدها من التفاعلات مع البيئة وتؤثر الصفات الموروثة للفرد بقوة فى نوع الخبرة التى تشتق من هذه التفاعلات . فالتأثير الذى تتركه البيئة لدى الطفل القوى ، يختلف عن التأثير الذى ينتج عند الطفل الضعيف . وكذلك بالنسبة للطفل الذكى ينتج عنده نوع من الخبرة تختلف درجتها بالنسبة للطفل الذى يتصف بانخفاض مستوى الذكاء . ويتضح من ذلك أن الصفات الوراثية عند الفرد تؤثر على تطور الشخصية ، وأن نوع التأثير الذى تمارسه يكون مشروطا بالعوامل البيئية . فالقدرات الموروثة والبيئية لا يمكن أن تشكل كل منها عامل محدد دائم فى تكوين الشخصية ، وأن أى تأليف منها يتطور فقط فى المواقف الاساسيه ، ولهذا فالعوامل الوراثية والبيولوجية ، لا يمكن أن تستخدم كسند للصيغة الشخصية ككل ، أو حتى لأنماط الإستجابة المختلفة التى تتضمن عليها هذه الصيغة ، وذلك لأن هذه العوامل الوراثية والبيولوجية تعمل كواحدة بين مجموعة من العوامل المختلفة المسئولة عن تشكيل هذه الصيغة [1] .

---

(1) Linton, R. op. cit., 1945 p. 132.

ويتكون تشكيل الشخصية من أنماط عديدة من الإستجابات ، كما تشتمل على ملامح معينه من كل تنظيم ، وقد يعتبر هذا التشكيل على أنه مزاج فردى ، وهذا يفسر بأن هذه الانماط وراثية ومحددة سيكولوجيا ، ولكن هذا التفسير لم يتضح إلى أى حد يكون صحيحا فالاستقرار العصبي كصفه لم يعرف بعد ، هل هو موروث أم نتيجة لعوامل البيئة ، أو نتاج التفاعل الموروث مع عوامل البيئه ؟ .

كما يتضمن تشكيل الشخصية مقدرات سيكولوجية ، وتتوقف هذه المقدرات على عوامل وراثية معينة تضع حدودا لتطورها . وتختلف هذه المقدرات السيكولوجية من فرد إلى فرد ، كما يؤكد البعض أن لها أساس فسيولوجى ولكن لم يتضح بعد ماهية هذا الاساس . وهكذا يظهر أن العوامل الفسيولوجية لا يمكن أن تعتبر مسئولة عن تطور أنماط الإستجابة التي تكون جوهر الشخصية ، وإنما يمكن أن تكون مسئولة جزئيا عن المقدرات السيكولوجيه للفرد .

وبالنسبة للفرض الثانى يتركز حول معرفة إلى أى حد تعتبر هذه المحددات الفسيولوجيه وراثيه ، ويتوقف توضيح هذه المشكلة على دراسة وتحليل القدرات السيكولوجيه للفرد بصورة موضوعيه . فقد توصل العلماء من خلال تطبيقهم لإختبارات الذكاء على جماعات تتميز بثقافات مختلفه ، أن الإختبارات لم تحدد طريقة موضوعيه لقياس الذكاء مجردا من العوامل الأخرى كالخبرة مثلا . ولهذا إذا إستطاع العلماء الإلمام بالقدرات السيكولوجيه التى لها أسس فسيولوجيه ، يصبح فى الإمكان تحديد العوامل الوراثيه التى تؤثر فى القدرات السيكولوجيه ، وتنحصر هذه العوامل

الفسيولوجيه فى تركيب بيولوجى معقد هو الجينات وقد يظهر تأثير هذه المركبات الوراثيه ، إذا كان المجتمع قادر على أن يصون عزلته لفترة طويلة كافيه ، ويحصر عملية التزاوج بين أفراده فقط ، وعندئذ يحتفظ كل أعضاء المجتمع بنفس المركبات الوراثيه . وبذلك يمكن تحديد نمط الشخصيه الاساسيه فى مثل هذا المجتمع فى ضوء المحددات الفسيولوجية الوراثيه ، ويبدو هذا واضحا فى المجتمعات الصغيرة البدائيه التى تهتم بها الدراسات الانثروبولوجيه [1] .

ورغم ذلك لم يتفق الأنثروبولوجيون فيما بينهم ، على تأثير الموروثات الفسيولوجية فى تحديد الشخصيه ، فالبعض يميل إلى الأخذ بالرأى القائل بوجود بعض الاختلافات الواضحة فى المقدرات الموروثة عند معظم المجتمعات ، بينما ينكر البعض الآخر إمكانية هذه الإختلافات ، ولم يحاول أى من الإتجاهين أن يناقش موقفه فى ضوء نتائج الأبحاث العلمية الحديثة فى علم الوراثه . والملاحظ أن أعضاء المجتمعات الكبيرة والمتحضرة يختلفون فى وراثتهم ، لدرجة أن أى تفسير فسيولوجى لهذه الإختلافات فى معايير الشخصية لا يؤخذ به . وقد نجد الإختلافات التكوينية بين الفرنسيين والألمان ضئيلة جدا ، وإنما يختلفون بدرجة كبيرة فى معايير شخصياتهم ، مما يصعب معه تفسير هذه الإختلافات فى الشخصية على الاساس التكوينى .

وقد أدى هذا إلى أن يقدم العلماء الألمان المتخصصين فى دراسة السلالات الفكرة الغيبية عن الروح الرومانديةالقابلة للتجسد فى سكان البحر الابيض

(1) Ibid.

المتوسط والألب حتى يبرروا تصوراتهم للأفضلية العنصرية [١].

أما الأنثروبولوجية الأمريكان ، وفي مقدمتهم « فانز بواس » Boas أول من أدركوا عدم صحة التفسير القـــائل بأن العوامل الفسيولوجية الوراثية تعتبر أساسا للمعايير الشخصية عند المجتمعات المختلفة ، وإنما يرجع تفسير هذه الإختلافات في الشخصية إلى البيئات التي ينشأ فيهـا أعضـاء المجتمعات المختلفة . ومن العوامل التي يظهر تأثيرها واضحا في تكوين الشخصية هي نوع الثقافة سواء في شكلها المادي أو اللا مادى التي تتصف بها البيئة . ويؤكد كلاكون [٢] Kluckhohn على تأثير الأفـراد بالنظم الثابتة التي تواجدت قبل ميلادهم : وهذه النظم تواجه الفرد عند ميلاده ويسير حسب مقتضاها في حياته . ولذلك تظهر نوعية سلوك الفرد في مواجهة المشاكل الإجتماعية التي تصادفه في ضوء الترابط الوثيق بين الثقافة والشخصية ، مما يؤكد التأثيرات المختلفة للأنماط الثقافية على الأفعال ودوافع الافراد .

وقد حدد « رالف لينون » في مقـــدمته لكتاب إبراهام كاردينر Karciner « الحـدود السيكولوجية للمجتمع » أن أساس الشخصية تتضمن عناصر مختلفة وتعتمد هذه الصيغة على الفروض الآتية [٣]: —

---

(1) Ibid P. 134.

(2) Kluckhohn and Henry, A, (ed), Personality in nature - Society and Culture, New York, 1959 P.P. 53 - 55.

(3) Karciner, A., op cit., 1945 P.P. 2-3.

١ — تؤثر الخبرات الفردية المبكرة تأثيراً قويا فى الشخصية .

٢ — ينتج عن الخبرات المتشابهة صيغا شخصية متشابهة لدى الأفراد الذين يخضعون لهذه الخبرات .

٣ — تتشابه الأنماط الثقافية التى يستخدمها أعضاء المجتمع فى تربية الأطفال ، رغم عدم وجود أى تماثل فى الاسر المختلفة فى المجتمع.

٤ — تختلف الأنماط الثقافية فى تربية الأطفال من مجتمع إلى آخر .

ويترتب على صدق هذه الفروض النتائج الآتية : —

١ — أن كل أعضاء مجتمع لديهم عناصر كثيرة من الخبرات المبكرة الشائعة .

٢ — تختلف خبرات الأفراد المبكرة من مجتمع إلى آخر ، وأيضا تختلف معايير الشخصية باختلاف المجتمعات .

وفى ضوء هذه الفروض والنتائج ، يكون الطابع الخاص الأساسى لشخصية أى مجتمع هى الصيغة الشخصية التى يشترك فيها معظم أعضاء المجتمع ، نتيجة للخبرات المبكرة التى أكتسبوها ، وهذه الصيغة لا تناظر الشخصية الكلية للفرد ، ولكن الصيغة الشخصية إنما هى أنعكاسات الصيغة الثقافية العامة للبناء الثقافى للمجتمع . وأيضا تكون قدرات الفرد العقلية وإدراكاته وأفكاره وعاداته وأنفعالاته وأستجاباته الصيغة الفردية ، وترتبط هذه الصيغة الفردية بثقافة المجتمع ككل ، فتنمو وتعمل فى صحبة دائمة مع الثقافة . ويمكن توضيح ذلك بأن لكل شخصية وجهين أحدهما

المحتوى والثانى الوجه التنظيمى Organizaticn ويتكون المحتوى من تألف عناصر الشخصية ، أما الوجه التنظيمى فهو علاقة هذه العناصر بعضها مع بعض ، والتنسيق بين هذه العناصر ، وأيضا علاقة هذه العناصر وتنسيقها مع الصيغة الكلية للشخصية .

وقد يصعب التحقق بالضبط من تنظيم الشخصيات ، وهذه النـــاحية السيكولوجية لا تزال موضع جدل ، إلا أنه يمكن الإشارة إلى وجود مستويين لتنظيم الشخصية أحدهما التنظيم السطحى الذى يعتمد على سيطرة الغرائز المختلفة أو الأهداف الشعورية الخاصة التى يكونها الفـرد لنفسه ، والمستوى الثانى وهومركز التنظيم الذى يعطى لكل شخصية الصيغة المميزة لها . ولذلك فان أختلاف أنواع الشخصيات يرتكز أساسا على مدى التشابه الخاص بين مراكز التنظيم . وهنا يمكن الاستفسار إلى أى حد يمكن أن تكون الثقافة مسئولة عن مراكز تنظيم الشخصيات ؟ أو بمعنى آخر هل يمكن أن تؤثر الثقافة فى نواة الشخصية وتعديلها ؟ وهذا هو ما أتعرض له فى تحليل ومناقشة دور الثقافة فى تكوين الشخصية .

دور الثقافة فى تكوين الشخصية :

يتضح من خلال مناقشة مكونات الشخصية أن المحددات البيولوجية لا تحدد وحدها نمط الشخصية ، كما أن الصفات السيكولوجية لا تشكل وحدها الشخصية ، وإنما تتكون الشخصية بتفاعل كل من المورثات البيولوجية والقدرات السيكولوجية مع البيئة التى يعيش فيها الفرد .

وأن ما تتضمنه البيئة من أشكال ثقافية مادية ولا مادية ، تؤثر بشكل واضح فى تحديد نمط الشخصية .

ويظهر تأثير الثقافة فى تكوين الشخصية من مصدرين ،الأول الأختلافات التى تشتق من سلوك الأفراد الآخرين نحو الطفل ، ويبدأ هذا التأثير منذ لحظة الميلاد وله تأثير كبير خـــلال الطفولة ، أما المصدر الثانى ، وهو الإختلافات التى تشتق من ملاحظة الفرد للأنماط السلوكية التى تميز المجتمع الذى يعيش فيه ، وهذه الأنماط السلوكية لا تؤثر عليه مباشرة ، ولكنها دئما تقدم له نماذج لتطور أستجاباته المنطقية للمواقف المختلفة .

وهذه الاختلافات ليس لها أهمية فى الطفولة المبكرة ، وإنما يظهر تأثيرها ويستمر هذا التأثير على الفرد خلال حياته ، ولذلك يجب ضرورة التمييز بين هذين النمطين للتأثير الثقافى . ومع ضرورة هذا التميز إلا أن هذين النمطين قد يتفقا فى بعض النقاط ، فالسلوك ذو النمط الثقافى الموجه نحو الطفل يمكن أن يستخدم كنموذج لتطور بعض أنماط سلوكه ، وتظهر فاعلية هذا العامل عندما يصبح الطفل فى عمر يسمح له أن يلاحظ ويتذكر ما يفعله الآخرون (١) . ولذلك نجد أن الآباء فى المجتمع الأمريكى يحرصون دائماً على أرسال أبنائهم إلى « مدارس الأحد » وذلك لأنهم قد تعـــودوا فى صغرهم على الذهاب إلى هذه المدارس ، وحقيقة أنهم كأفراد كبار يفضلون لعبة الجولف عن حضور الكنيسة . إلا أن هذا الميل نحو تفضيل الجولف عن الكنيسة لا يضعف النمط الثقافى الدينى ، وتؤثر هذه الأنماط فى تربية الأطفال جيلا بعد جيل . ولذلك تعتبر السنوات الأولى فى حياة الفرد هى الرسم الكروكى لتكوين الشخصية ، فى بعض المجتمعات نجد أن نمط

---

(1) Linton,R., op. Cit. 1945 P. 130.

الثقافة فيها لا يقر موقف العصيان المطلق من الطفل إزاء والديه ، مما يؤثر هذا النمط فى شخصية الراشد فينشأ فرداً مستسلماً معتمـداً وينقصه دائما المبادأة ، علماً بأن هذا الراشد لا يتذكر تجـــارب طفولته التى أدت به إلى تكوين هذه المواقف . وعندما يواجه أى موقف جديد ، فان رد الفعـــل الأول هو البحث عن شخص ذو سلطان يدعمه ويوجهه .

وقد أجريت تجربة فى مجتمع التنالة Tanala فى مدغشقر ، وتتلخص هذه التجربة فى أختيار مجموعة من الأطفال وأستخدم الباحث معهم طرقا فى التربية تهدف إلى تطوير الرغبة وغرس المبادأة وفرض الشخصية ، أما المجموعة الثانية فقد تعامل معها الباحث بطريقة تعسفية لـكبت رغباتهم وأخضاعهم للنظام بوسائل عنيفة . وظلت هذه التجربة فـــترة طويلة من الزمن ، فلاحظ الباحث أن المجموعة الأولى ظهر لديهم الأستعداد للقيادة ، أما المجموعة الثانية فان كثرة الإحباطات التى تعرض لها هؤلاء الأطفال طيلة فترة تربيتهم ، أدت إلى أن شخصياتهم نشأت متخاذلة [1] .

وقد وجد الأنثروبولوجيون فى دراساتهم للشخصية فى مجتمعات مختلفة الثقافات أن معايير الشخصية تختلف بالنسبة للمجتمعات المختلفه ، وذلك لأن الثقافة هى العامل السائد فى تكوين أنماط الشخصية الأساسية بالنسبة لهذه المجتمعـات . ويعـرض هونيجمان Hcnigman بعض أستنتـاجات الأنثروبولوجيين من دراساتهم لمجتمع كاسكا للهنود الحمر فى الاقليم الشمالى لكولمبيا بأمريكا الشماليه ، وذلك عن العوامل الثقافية التى تؤثر فى تكوين

---

(1) Ibid P. 142,

شخصية الفرد وقد لخص هذه النتائج فى النقاط الآتية : ـــ [1] .

١ — يتميزون باتجاهات أستقلالية فى حياتهم ، وذلك لأن الفرد فى مجتمع الكاسكا لا يطيع ولا يخضع لأى قيادة ولا أى سلطة ، إلا أن هناك سلطة واحدة وهى سلطة الأب على إبنه . وفى ذات الوقت يشعر الفرد من تلقاء نفسه رغم تحـــرره من السلطة باحساس المسئولية عن كل أعماله ونجاحه أو فشله .

٢ — وبالرغم من عدم وجود رقابة من الشرطة أو نظام رئاسى ، إلا أن الهنود الحمر يعتبرون الأعمـال العـدوانية والخصومة الشخصية سلوكا مكروها ، والإلتزام بشعور الكراهية من أجل العداوة يعتبر أيضا غير مقبول . ويحاول الفرد دائما أن يتجنب إثارة الغضب ولذلك يحرص دائما على أن يعالج أحواله الاجتماعية بالسياسة والتفاهم ، كما يعمل الفرد أعتبارا للاستقلال الشخصى للغير .

٣ — يتصف سلوك الفرد فى الكاسكا بالمرونة ، ولكن ينقصه الطاعة ، كما أنه ليس ملتزما باحترام الوقت أو بتدريب أطفاله ، ويقصـــد بكلمة المرونة هنا هو أن الفرد فى مجتمع الكاسكا يتصف بالتسامح ، وأحيانا يتسم موقفه بالتمرد نحو الحياة .

٤ — يتميز الفرد فى الكاسكا بأنه يعمل دائما على كبت شعوره فى كل علاقاته مع والديه وأولاده وزوجته . وتقوم العلاقات الجنسية بين الأولاد

---

(1) Honigman, J., op. Cit. 1954, P. 9.

والبنات غير المتزوجين على أعتبارات قاسية ناتجة عن التدريب ، والعود على كبت الشعور نحو الجنس الآخر .

٥ — يتصف تفكيرهم بالسببية ، ويحتل التخطيط لمستقبل حياتهم مكانا صغيرا ، بينما تحتل المواقف النسبية مكانا بارزا فى حل مشاكلهم ، وتثير المشاكل البسيطة لديهم إحساساً كبيرا مما يجعل الاستجابة لها قوية .

وكذلك أثبتت الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة وجود علاقة ظاهرة بين أساليب تنشئة الأطفال الصغار وبين نمط شخصية الراشد ، فقد لاحظ الباحثون أن بعض القبائل البدائية التى تتصف بالهدوء والمسالمة ، ينال الطفل فى تربيته أهتمام الكبار وعطفهم ، كما ينال رعاية كبيرة من أمه فى الرضاعة وبذلك ينشأ الطفل مسالما وديعا لا يعرف العنف ولا القسوة . بينما نجد فى قبيلة أخرى يتصف أفرادها بالعدوان المفرط ، ويسود شعور الكراهية كل العلاقات بين أفراد القبيلة ، وبذلك ينشأ الطفل في جو غير آمن يشوبه القلق . ومن أسباب سوء العلاقات الأسرية فى هذه القبيلة أنه عندما تحمل الزوجة يكف الزوج عن الانصال بها جنسيا ، مما يثير غضب الزوج دائما ، فلا يرحب بقدوم المولود الجديد . هذا بالإضافة أيضا إلى أن النمط الثقافى لهذه القبيلة فى تربية الطفل تتميز بأن الطفل يتعرض فى فترة الرضاعة إلى مواقف مؤلمة ، إذ أن فترة الرضاعة قصيرة في كل مرة يتناول فيها وجبته ، وخاصة أن الطفل يوضع فى سلة خشنة أثناء الرضاعة ويتناولهـــا وهو فى موقف التأهب ، فاذا به يمسك بالثدى بقوة ويرضع رضعا سريعا عنيفا خشية أن يفقد الرضاعة . ولذلك فان عملية الرضاعة بالنسبة للطفل يسودها دائما كفاح وتوتر وغضب ، وكذلك عملية الفطام ليست أقل قسوة وغلظة من عملية

الرضاعة بل تستخدم الأم العنف فى أبعاده عن الثدى ، وعلى هذا النحو يشعر الطفل أنه في عالم عدائى منذ لحظة ميلاده ، ويعزز هـــذا الشعور ويؤكده ويثبته لديه الخبرات التالية التى يكتسبها فى مراحل نموه المختلفة نتيجة أساليب التربية .

ويتضح من خلال تحليل منظور رالف لينتون عن الثقافة والشخصية ، أن فكرته ترتكز أساسا على وصف بناء الشخصية بأنه نوع من الاشتقاق من المفهوم السيكولوجى للشخصية ، ويتحدد بناء الشخصية عن طريق دراسة الثقافة . ويقصد من ذلك أن بناء الشخصية الأساسية يمثل تجمع أو ارتباط كل خصائص الشخصية التى يبدو أنها تتطابق مع كل النظم والعناصر والسمات التى تؤلف أى ثقافة من الثقافات . وليس من الضرورى أن يتحقق ذلك البناء الأساسى للشخصية فى كل عضو من أعضاء الجماعة ، بل أنه يكفى أن يوجد لدى غالبية الأفراد . حتى يمكن التعرف عليه وتحديد الملامح التى تدخل فى تكوينه والتى تعطى المجتمع طابعا معينا متمايزاً . خاصة وأن هذا البناء الأساسى للشخصية ، لايظهر عند الأفراد إلا نتيجة للتجارب السابقة التى يكتسبونها منذ مرحلة الطفولة المبكرة ، بمعنى أنه لا يظهر تلقائيا نتيجة للغرائز أو الدوافع أو القوى الأساسية ، وإنما هو شىء يستمد ويكتسب من الثقافة ذاتها .

المبحث الثالث

تأثير السيكوديناميكية فى دراسة الثقافة

- البدايات الفكرية للسيكوديناميكية .
- إتجاه السيكودينامى ونموذج الشخصية الأساسية .

تأثير السيكوديناميكية فى دراسة الثقافة

البدايات الفكرية للسيكوديناميكية : —

بدأ الاتجاه السيكودينامى يغزو علم الأنثروبولوجيا الثقافية فى بداية الأربعينات من القرن العشرين ، نتيجة للجهود العلمية التى بذلها العالم السيكولوجى « سيجموند فرويد » فقد أسهم بكثير من البحوث محاولا اقتحام مضمار العلوم الاجتماعية .

وقد استمد « فرويد » أفكاره الأساسية من كتاب « الطوطمية والزواج الخارجى » Tctemism and Excgamy للعالم الأنثروبولوجى «جيمس فريزر» بالإضافة إلى قراءاته العديدة للأنثروبولوجيين التطوريين وخاصة ماريت Marret وكذلك كتاب « ديانة الساميين » Relgicn of the Semites الذى وضعه « روبرتسون سميث Robertson Smith . وقد أثرت أفكار سميث فى منظور فرويد السيكولوجى ، كما تأثر أيضاً بمفهوم هربرت سبنسر عن « مراحل التطور Stages develcpment » . وهكذا يتضح أن فرويد قد اهتم بالدراسات الاثنوجرافية ، وخاصة التى عرضها جيمس فريزر فى كتابه الطوطميه ، وقد كان يهدف من هذه الدراسات أن يجد فيها بعض ما يؤيد أفكاره النظرية وذلك من خلال ثقافة المجتمعات البدائية (١) . ولذلك أسند هذا العمل إلى زميله « يونج » Jung ، إلا أنه بدلا من أن يتتبع أثر الأنثروبولوجيين

---

(1) Karćiner, A and preble, op.cit., 1963 p. 283.

التطوريين ، فقد اتجه إلى مسالك الصوفية Mystieism ، مما أدى إلى نشوب خلاف بينه وبين فرويد ، ونتج عن ذلك أن قام فرويد بتأليف كتابه المعروف باسم « الطوطم المحـــرم Totem and Taboo سنة ١٩١٣ . [١]

إلا أن الظروف والمناخ العلمى الذى صدر فيه هذا الكتاب فى ذلك الوقت كانت لا تتناسب مع ما كان ينشده فرويد من هذا الكتاب ، فقد استند فى عرض أفكاره على النظرية التطورية فى الأنثروبولوجيا ، التى واجهت كثير من الانتقادات العنيفة مما أدى إلى تدهورها وانحطاطها . وهكذا أصبحت الفرضيات التى أقام عليها فرويد نظريته فى أن عقــدة أوديب Oecipus ccmplex مستوحاة من الفكرة البدائية عن قتل الأب a Primal paricide أو أن مخاوف Phcbias الأطفال من الحيوانات ، إنما هى أصلا ارتداد طفولى إلى الطوطمية Infantile return of totemism أو أن « فترة الكمون » Lateney period تمثل إعادة « العصر الثلجى » Ice age غير مقبولة ، حيث استمد فرويد هذه الفرضيات كلها من نظريات التطور الثقافى فى الأنثروبولوجيا ، التى تعرضت إلى النقد ثم الرفض من معظم العلماء فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين [٢] . وهكذا انهارت كل أفكار وتصورات فرويد التى ضمنها كتابه الطوطم والمحرم مع انهيار التطورية فى الأنثروبولوجيا الثقافية ، ورغم ذلك ظل

---

(1) Ibid, p. 283.

(2) Ibid .

متمسكا بأفكاره المبكرة التي استقاها من هذه الدراسات الاثنوجرافية حيث ظهرت مرة أخرى في كتابه «موسى والتوحيد Mcses and mcnctheism الذي صدر سنة ١٩٢٩ . وفي ضوء الانتقادات التي وجهها ألفريد أدلر Alferd Acler إلى فرويد ، والتي تشير إلى إهماله أهميه « الموجهات الاجتماعية » Sccial cirectives أو بمعنى أصح اغفاله تأثير المجتمع في التكيف البشرى . حاول فرويد أن يبرهن على أن اطاره النظرى يتضمن تفسيرا للعلاقات الاجتماعية ، وقد كان ذلك ضروريا حيث أغفل تماما في كتابه « الطوطم المحرم » مسألة كيفية ارتباط المجتمعات بعضها ببعض ، إلا أنه أوضح أن هذه المسألة قد ناقشها في ضوء فكرة « المونادا » Monads ولذلك ناقش « فرويد » مسألة العلاقات بين الكائنات الإنسانية في كتابه « سيكولوجية الجماعة وتحليل الذات » Grcup psychclcgy and analysis of the Ego سنة ١٩٢١ في ضوء وصفه لاصطلاحات الليبدو ، وأوضح كيفية ارتباط الناس بعضهم ببعض في ضوء نظرية الغرائز ( ) .

ويعتبر كتاب « مستقبل الوهم The Future of a Illusicn سنة ١٩٢٨ الذى أصدره فرويد بعد ذلك من الاعمال الناضجة ، حيث أوضح فيه أن الثقافة تخدم الإنسان وتتحكم في علاقات أجزاء المجتمع بعضها ببعض ، وبذلك تكون الثقافة حماية للفرد ، واعتبر الدين من القوى الاجتماعية التي تؤدى إلى تماسك المجتمع . ويرى أن الإنسان قد استطاع عن طريق تجسيد قوى الطبيعه في كائنات محددة كالآلهة أن يتعامل مع هذه

(1) Ibid. p. 205.

القوى وجعلها عرضه للتحكم البشرى . وهنا إستطاع فرويد أن يظهر لاول مرة مصدر ما يعرف « بالنسق الاسقاطى » Projective system وهذا النسق يعنى محاولة تكوين العالم الخارجى وفق علاقة الفرد به ، وذلك تبعا لخبراته المبكرة التي تكونت لديه خلال مراحل تكوينه ، وقد ظهر لهذه الفكرة إستخدامات وفوائد علميه كثيرة فيما بعد [1] .

أما بالنسبه لكتابه « المدينه ومتاعبها Civilization and its discontents سنة ١٩٣٠ ، فقد حاول فرويد فى هذا الكتاب أن يوضح كيف تؤثر الثقافه فى الغرائز التي منحتها الطبيعه للانسان ، ومن المسلم به أنه لكي يتواجد المجتمع لابد وأن تضبط هذه الغرائز ، ويحدث ذلك عندما تستوعب الغرائز السمات الخلقيه Character traits . ويستطرد فرويد فى توضيح المقصود بالسمات الخلقيه بأنها عملية اعلاء Sublimation للطاقه الغريزيه ، وهنا يستبعد فرويد الموجهات الثقافيه من نظريته عن الليبيدو [2] .

وهكذا حاول فرويد أن يبحث عن أصول الثقافه ، لكي يتخذ من فكرة ضبط الغرائز نقطه محوريه ، تدور حولها فحوصه ، ويقصد من ذلك البحث عن قاعدة يسيطر بها على الغرائز ، حتي يتمكن المجتمع من أداء وظيفته على الوجه الاكمل . وتوصل إلى ذلك بوسيلتين ، أولهما هى « تجريد الصفه الجنسيه » Desexualization ولم يوضح فرويد ماذا

---

(1) Ibid. p.p. 205 - 206.

(2) Ibid. p.p. 206 — 207.

يعنى بذلك ، والطريقة الثانيه هى أنه لاحظ أن الثقافه تفرض قيودا على الحياة الجنسية ، وتظهر هذه فى محرمات الزنا Incest tabccs والزواج الأحادى Mcncgamy . وقد إعتقد فرويد بطريقة خاطئه فى عمومية هذه القيود ، وذلك بأن القاعدة العامه التى تعمل من خلالها الثقافه هى «التنظيم الكمى للطاقة الغريزية. Quantitative cispcsiticn of instinctual energy »

وتعتبر هذه العملية هى العامل الرئيسى فى الدور الوظيفى الذى تقوم به الثقافه ، وتبعا لذلك فان المجتمع أو الثقافه يصبح كل منها قيــدا على الفرد [1] .

وأخيراً عرض فرويد محاولاته السوسيولوجية فى كتابه « موسى والتوحيد » Mcses an moncthcism سنة ١٩٣٩ ، وقد أكد فى هذا الكتاب أفكاره التى سبق أن عرضها فى كتابه « الطوطم المحرم » سنة ١٩١٣ .

وعموما تنهض الإنتقادات الرئيسيه لأعمال فرويد فى العلوم الاجتماعيه ، على أساس أن هذه الأعمال تتضمن على فرضيتين لا يمثلان الحقيقة فى شىء ، الفرض الأول وهو أن تطور الكائن الفرد ما هو إلا إعادة لفكرة النشوء النوعى فى التطور الثقافى ، وهذه الفرضيه قد دحضت مع إنهيار التطورية الكلاسيكية ، أما الفرضية الثانية وهى أن الغريزة هى الموجه لكل العمليات السيكولوجية . وفى ضوء هذه الفرضية الأخيرة عرض فرويد نفسه إلى الإنزلاق فى المحظور ، حيث حدد الغرائز بمقاييس كيفيه ،

---

(1) Ibid . P. 207 .

وهو فى ذلك تجاهل أنساق الفعـــل التى تؤدى إلى إستمرار الغريزة فى أداء عملها .

وقد انلسبت Anthropomorphized هذه الغرائز مع مرور الوقت إلى خصائص الشخصية ، ويرجع ذلك بدرجة كبيرة إلى أن إستخدام الغريزة من حيث مفهومها كطاقه حركيه وليست كمفهـــوم بنائى ، حيث تستمد الغريزة طاقتها من مصادر تنتمى أصلا إلى النشوء النوعى (تبعا لمبدأ اختزان الطاقه) The principle of conservation of energy وإنتقالها من جسم إلى آخر (تبعا لمبدأ قابلية الإنتقال) Disploceability مع قدرتها على التجرد من الصفه الجنسيه Desexualization ، إلا أن فرويد فى إستخدامه لمفهـوم الغريزة كطاقـة حركيه قد تجاهل عن غير قصد ما كان يعنيه « بأدوات التوافق المركزية Central co-orcinating apparatus الذى تعرض له فى كتاباته الأولى فى تفسيره للأحلام . ولهذا فان فرويد قد وضع ما يعنيه بمفهوم « الذات » Ego خارج الإطـار المرجعى الذى يعتمد عليه ، ممـــا أدى إلى إنقطاع الإتصالات التكيفيه للذات مع العالم الخارجى (١) .

ولكن ما هى النتـائـج العمليـة التى ترتبـت عـلى تجسيد الغرائز Anthropomorphism ؟ من أهم هذه النتائج أن الظروف الثقافيه بالرغم من الاعتراف بها إلا أنها قد وضعت خارج نطاق النظرية ، ويمكن توضيح ذلك من خـــلال مثال من تحليل فرويد . فان السمات الخلقيه

(1) Ibid. P. 207.

الشرجيه Anal يمكن الوصول إليها عن طريق تسامى الليبدو ، وهذه السمات هى إقتصادية Thrift ، والنظافه Cleanliness ، والنظام Orderliness ولكن فرويد قد عرف هذه السمات بأنها متطلبات ثقافيه .

ولذلك فان النظافه أما أن تكون أحد أشكال الاذعان Compliance أو تكون تسامى Sublimation فى الطاقه ، ولكن لا يمكن أن تكون الإثنين معاً ، مما يقتضى التضحيه بأحدها . وهذا مافعله فرويد حيث ضحى باحتكاك الذات Ego مع متطلبات الثقافه وبذلك لم يستطع أن يتوصل إلى معنى الثقافه إلا من خلال مفهوم الغريزة .

وفى ضوء ذلك أقام فرويد تفسيره للثقافه على أساس الصراع بين غريزتى الحياة والموت ، وأن هذا الصراع هو أزلى . أما بالنسبه للتطور الاجتماعى وأنماط العلاقات الاجتماعية المرتجلة والقائمة على أساس تجربة الصواب والخطأ ، وبقاء معظم الأنماط المناسبة لأنها تعزز تكيف الإنسان ، فقد تجاهلها تماماً . وقد نتج عن ذلك أن فقدت الذات Ego احتكاكها بالبيئه الاجتماعية ، تاركه مسئولية بقاء الإنسان لمعوقات إشباع غريزة الموت . والحقيقة أن أفكار فرويد الأخيرة ما هى إلا تكرار للأفكار السابقة وليست لها أى قيمه تفسيريه ، أو قيمة برجماتيكيه ، ولهذا فان متاعب الإنسان ومشاكله إنما ترجع أساسا إلى فشل الفرد فى التكيف الثقافى [1] .

(1) Ibid, pp. 207 – 208.

اتجاه السيكوديناميى ونموذج الشخصية الأساسية:

يتضح من تحليل اتجاه السيكوديناميكية فى الثقافة أن جهود فرويد فى مجال علم النفس الفردى لا تحتوى على قيمه علمية بالنسبه للعالم الاجتماعى ، وتعتبر بذلك أعمال فرويد السوسيولوجيه عديمة الجدوى . فقد وصف فرويد نسق سيكوديناميى يمكن من خلاله تسجيل ردود فعل الفرد بالنسبه لمشكلات التكيف ، وبذلك يمكن الربط بين الظروف التى يحدث بموجبها تطورات الفرد النشئويه ، وبين نتائج خصائص الفرد الخلقية أو الاضطراب العصبى (العصاب) Neurosis مما أدى إلى أصحاب النزعة السوسيولوجيه من أتباع فرويد استخدام جزء أو مجموعة مركبة من بعض أجزاء نظريات فرويد عن الغرائز وقد ظهرت عدة اتجاهات تتبنى منظور السيكوديناميكية ، ومن أهم هذه الاتجاهات ، الاتجاة الذى تزعمته جامعة كولومبيا وعلى الأخص كل من ساندرو رادو Sandor Rado ودافيد ليفى David Levy وابرام كاردنير Kardiner الذى يركز على استخدامات السيكوديناميكية التكيفيه فى العلوم الاجتماعية ، وقد حدد كاردنير طريقة استخدام السيكوديناميكيه فى الأنثروبولوجيا أنها تتميز بالآتى[1] :-

١ - لم يتبع التطور الاجتماعى منهج ذو اتجاه واحد Unilinear ولذلك يجب دراسة كل مجتمع باعتباره كيانا مستقلا بذاته ، وفى ضوء ذلك يتفق كاردنير مع مالينوفسكى والوظيفيين .

(1) Ibid. p. 214.

٢ – لكي يفهم نظم المجتمع يجب أن يقوم بمحاولة إعادة تركيب مشكلات التكيف التي واجهت المجتمع . ومن المعروف أنه يوجد طرق عديدة لحل نفس المشكلة الاجتماعية الواحدة ، ففى بعض المجتمعات التى تظهر فيها المجاعات ، مما يقتضى معه الحد من زيادة السكان ، ولذلك تلجأ بعض المجتمعات للحد من هذه الزيادة إلي قتل المواليد الإناث ، بينما تقوم مجتمعات أخرى بحل هذه المشكلة بأكل الأطفال .

٣ – النظم الاجتماعيه هى العلاقات المنمطة التى تجعل الفرد يتكيف مع البيئة البشريه والطبيعيه .

٤ – إن فشل أو نجاح النمط الاجتماعي يترتب عليه نتائج خطيرة ، فان نظرة النسبيين المتطرفين إلى أن النمط الاجتماعى يسمح بكل شىء ، إنما هو منظور خاطيء . فقد يكون للنمط الاجتماعى الذى يتصف بالسوء آثار سيئة تنعكس على الوحدة البشرية مما يعرضها للكوارث ، بل يعرض الثقافة كلها للخطر إن عاجلا أو آجلا .

٥ – يمكن استخدام طرق فرويد فى الفحص عند فهم علاقة النظم الاجتماعية بالفرد وبتكوينه الوراثى ، ولا ينتج عن هذا التفاعل نمطية Setrotyped ، وإنما تتحدد نتيجة هذا التفاعل داخل نطاق من التنوعات تعرف بخاصية الشخصية . وينتج عن تفاعل أفراد المجتمع نظم جديدة ، يرقى بعض هذه النظم إلى التعاون ، والأخرى تثير القلق والغضب الشديد ، ويعتمد نجاح أو فشل المجتمع على ترجيح Balance النظم الأولى .

وقد أدت التكنيكات التى تطورت عند التطبيق الجديد للسيكوديناميكية :

للحصول على المعلومات الأنثروبولوجية ، إلى إكتساب ثلاث مجموعات من المعرفة مرتبطة بعضها ببعض يمكن تلخيصها فى النقاط الآتية [١] : —

١ — وصف عمليات الاتزان الداخلى التى تعمل فى المجتمع ؛

٢ — وصف «الشخصية الأساسية» التى تنتج عن أنماط خاصة من الاتزان الداخلى فى المجتمع .

٣ — وصف ديناميكيات التغير الثقافى ، حيث تفيد دراسة أشكال مادية من ثقافات الماركيزان Marquesen والألور Alcrese والأوربية فى تصور نوع المعلومات التى يمكن اشتقاقها من فحص هذه المناطق الثلاث .

وهكذا ينظر إبرام كاردنير Karciner إلى الشخصية الأساسية لا على أنها نمط سيكولوجى متكيف مع القيم السائدة بالثقافة ، بل على أنها نمط قائم على أمزجة لا شعورية معينة ، وتتشكل بواسطة النظم الثقافية الأولية تبعا لطرقها فى تدريب الطفل وتنظيم الأسرة بها . وتستمر هذه الأمزجة خلال الحياة وتنعكس على الناس الآخرين وعلى المواقف وعلى النظم الثقافية الثانوية كالفن والدين والحكومة والأساطير . وينهض منظور « إبرام كاردنير » فى بناء الشخصية الأساسية على الفرضية التى تصور هذا البناء على أنه « مجموعة الخصائص السيكولوجية والسلوكية التى تظهر نتيجة للاتصال بالنظم الاجتماعية . ولذلك فهو يهتم بإبراز الفرد كعامل دينامى فى الموقف الثقافى ، باعتباره كائنا عضويا بيولوجيا له حاجات ودوافع

---

(1) Ibid . P . 214 .

سيكولوجية تتفاعل مع قوى الأرضاع والمبادىء الثقافية التي يخضع لها ، ولهذا فهو يرى أن الفرد يخرج من عملية التعلم لكى « يقابل ثقافته » ويحصل منها على شيء من الإشباع الذاتى ، مما يؤدى إلى ظهور أنماط السلوك الفردية فى النطاق الذى تسمح به الثقافة (١) .

وقد استمد « ابرام كاردنير » جوهر نظريته فى « بناء الشخصية الأساسية » من نتائج الدراسة التحليلية التي أجراها « رالف لينتون » على ثقافتى قبيلتى التنالا والماركيز ، وذلك بقصد التعرف على العلاقة بين الشخصية والنظم الثقافية . وقد تضمنت هذه النتائج دراسة وتحليل النظم التكاملية التى تتكون عند الطفل نتيجة خبراته المباشرة خلال عملية النمو . وأوضحت هذه النتائج أن النظم الدينية كانت صوراً طبق الأصل لخبرات الطفل من خلال ما وفره والداه من تدريب وترويض . وقد أوضح تحليل التماس العون الإلهى عند هاتين القبيلتين ، أنها تختلف تبعا لاختلاف خبرات الطفل الخاصة وأهداف الحياة التى حددها كل مجتمع لنفسه وفق ظروفه وتقاليده الخاصة. فاقترن فى أحد هذه الثقافات بعقاب يفرضه الفرد على نفسه حتى ينعم مرة ثانية برحمة الإله بعد أن فقدها نتيجة لانحرافه عن الأصول المرعية فى حياة مجتمعة . أما فى ثقافة المجتمع الآخـــر ، اقتصر أسلوب التماس العون على التحلى بالصبر والجلد ، وقد فسر الباحثون إختلاف أساليب التماس العون

(١) دكتور أحمد أبو زيد ، البناء الإجتماعى - الجزء الأول المفهومات ، الدار القومية ١٩٦٦ ، ص ٢٢٩ - ٢٣١ .

الإلهي ، بأن العوامل المؤثرة فى تكوين شخصية الفـرد تختلف من ثقافة لأخــــرى .

ويتضح من خلال تحليل النظام الدينى فىهذين المجتمعين ، أنالأساليب المعتمدة فى تنشئة الطفـل ومعاملته قد حددت له مواقف أساسية بالنسبة للوالدين ، تميزت بالثبات والدوام فى الجهاز العقلي للفرد . ويطلق كاردنير على هذه المواقف الأساسية اصطلاح « النظم الأولية » ولهذا فان المعتقدات الدينية وأساليب التماس العون الالهـى التي يتضمن عليها النظـام الدينى ، تنسجم تماما مع المواقف الأساسية التىتحددت له عن طريق «النظمالاولية». وهذا يعنى أن « النظم الاولية » تتحدد مسئوليتها فى ابراز النظمالاجتماعية التى تتفق مع الخبرات التي يتلقاها الطفل الناشىء من المواقف الاساسية ، ثم يتطور من هذه النظم الإبرازية نظم أخرى تعرف « بالنظم الثانوية » . ولهذا فان كاردينر ، يشير إلى أن « بناء الشخصية الأساسية» هو مرحلة تتوسط ما يسمى « بالنظم الأولية » و « النظم الثانوية » ، فالنظم الإبرازية هي التي تكون « بناء الشخصية الأساسية »(١) .

ولكن يتساءل « كاردينر » عن ، كيف يمكن التوفيق بين النظـرية القائلة بتباين الأفراد ، أى أن لكل فرد شخصية تختلف عن الأخرى ؟ ، وبين فكرة الشخصية الأساسيــة ؟ وهنا يشير « كاردنير » إلى أنه إذا درسنا تركيب الشخصية عند مائة من أفراد المجتمع الأمريكي ، لوجدنا أن

---

(١) رالف لينتون : الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث ترجمة عبد الملك الناشف ، المكتبة العصرية ، بيروت ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

شخصية كل واحد من هؤلاء لها تركيب خاص أسهمت فى بنائه عوامل مختلفة ، لا تقتصر على الاستعدادات والنزعات الفطرية عند الولادة ، وإنما تشتمل أيضا على المؤثرات الخاصة التى تعرض لها الفرد خلال عملية النمو . ورغم ذلك فانه يمكن تمييز تشكيلات معينة من المواقف والميول ، مثل عقدة أوديب وعقدة الخصاء ، وهكذا من العقد التى عمل « فرويد » على ابرازها والتشديد عليها . إلا أن « فرويد » لم يدرك أن هذه التشكيلات الشائعة فى المجتمع الامريكي تختص بثقافته فقط ، بل أعتقد أنها ظاهرة عامة فى جميع المجتمعات البشرية ، وأن الكثير منها يعود إلى أصول نشوئية ونوعية . ولذلك فان بناء الشخصية الاساسية لدى هؤلاء الافراد الماثلة ، إنما تحددت وفق أوضاع تأثروا بها ، ونشأت أساسا من الخبرات المتصلة بالنظم الاجتماعية ، ورغم أن كل فرد يستجيب للمؤثرات بطريقته الخاصة ، إلا أن بناء الشخصية يتشكل ضمن مجال معين من الامكانيات والاستعدادات وهذا هو المجال الذى نستطيع أن نجد فيه ما يعرف باصطلاح « الشخصية الاساسية » [١] .

وعموما فانه يمكن إستخلاص النتائج الآتية من منظور « كاردينر » فى الثقافة والشخصية ، بأنه تتكون مواقف معينـة لدى الاطفـال إزاء والديهم نتيجة للنظم الثقافيـة التى تسود المجتمع البدائى بالنسبة لتربيـة الاطفال ، وتستمر هـذه المواقف مع الاطفال فى مختلف مراحـل النمو ، مما تؤدى إلى تكوين نموذج « الشخصية الاساسية » لهذا المجتمع ، ثم

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

تؤثر بعد ذلك هذه الشخصية الأساسية فى النظم الاجتماعية الكبرى كالدين والحكومة والاقتصاد وغيرها . أى أن الثقافة فى طور من أطوارها تؤثر على نمط الشخصية الأساسية وتشكلها وتطبعها بطابع خاص ، ثم عندما تخرج هذه الشخصية إلى المجتمع تؤثر بدورها على الأنماط الثقافية الأخرى. ويوضح «كاردينر» هذه الفكرة عند دراسته للنظام العائلى فى مجتمع الور وهو إحدى جزر الهند الشرقية ، فوجد أن النمط الثقافى الذى يسود النظام العائلى هو سيادة المرأة وضعف شخصية الرجل واعتماده عليها ، لأنها العامل الاقتصادى فى القبيلة . وعند تحليله لهذا النمط الثقافى أرجعه إلى ما أسماه « النظم الاولية » فى تربية الطفل فى هذه القبيلة . فالطفل فى قبيلة « الور » يعامل من والديه معاملة قاسية . فلا تجاب له رغباته بسهولة ، بل يحصل عليها بعد ما يعانى من مواقف قاسية ، وحتى إذا مرض الطفل فانه يعالج بوسائل خشنة ، ولا يلقى أى عطف أو حنان . ولذلك تقف هذه « النظم الاولية » عائقا أمام تكوين الذات لدى الطفل ، فينشأ خجولا وعدوانيا . لأنه افتقد العطف والحنان فى مرحلة الطفولة . ويؤدي ذلك إلى ضعف الذات أو الانا Ego والذات الاجتماعية Super-Ego وبالتالى ينشأ الطفل وينمو ضعيف الشخصية ويستمر معه هذا الضعف طيلة حياته، وبذلك يكون مركزه ثانوى فى الاسرة وتحتل المرأة المكانة الاساسية .

ويلاحظ أن نمط تنشئة الطفل فى ثقافة «ألور» والمؤثرات التي يتعرض لها تتفق تماما مع الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، التى يصعب فيها قيام تحديد النظام الإقتصادى والفلسفة التى يقوم عليها . فنظام توزيع العمل بين الجنسين يجعل المرأة تقوم بالعبء الاكبر من النشاط المتصل بزراعة

الحضروات ، ولا تتلق من الرجل إلا مساعدات عرضية . ولاشك أن نظام العمل فى ثقافة « ألور » يؤثر فى عناية الأم بأطفالها ويجعلها تترك أطفالها طيلة النهار ، ولا تعتنى بهم إلا قبل ذهابها إلى الحقول صباحا ، وبعد عودتها مساءا . ولذلك فان أى تغيير فى نظام تقسيم العمل فى هذه الثقافة سيؤدى إلى ازعاج كبير ومقاومة عنيفة من جانب الذكور ، وحتى إذا ما تحقق تغيير النظام الاقتصادى فانه يقتضى تغييراً جذرياً فى نظام التكيف السيكولوجى عند الذكور الإناث على حد سواء .

المبحث الرابع

الاتجاه التشكيلى فى دراسة الثقافة والشخصية

- مقدمه .
- منظور التكامل الثقافى .
- الأنماط الثقافية ودورها فى تشكيل الشخصية .
- تأثير التكامل الثقافى فى تشكيل الصيغة الثقافية .

الاتجاه التشكيلى فى دراسة الثقافة والشخصية

مقـــدمة :

يتزعم هذا الاتجاه العالمه الأنثروبولوجيةروث بنديكت Rcuth Bencict التي أستمدت خبراتها الميدانيه من خـــلال دراستها عن قبائل بيما Pima وكانت تهدف من هذه الدراسة ، أن تفهم وتدرس الناس من خلال تحليل خصائص « الأنماط الثقافية » التي يتميزون بها . وقد أشارت إلى هذه الفكرة فى البحث الذى أجرته بعنوان « الأنواع السيكولوجية في ثقافات الجنوب الغربى Psycholcgical Types in Culture of the W.Scuth سنة ١٩٢٨ ، ثم ظهرت هذه الفكرة بعد ذلك بصـــورة واضحة فى كتابهـا الذى أصدرته فى عام ١٩٣٤ ، ، بعنوان « الأنماط الثقـافية » Patternes of Culture . وبالإضافه إلى أسهاماتها الميدانية التى قامت بها مع هنود الجنوب الغربى فى العشرينات ، فقد درست فىالأربعينات الأنماط الثقافية فى آسيا وأوربا وأستعانت فى هذه الدراسة بالإخباريين الذين أكتسبوا هذه الثقافات ويعيشون فى المناطق الحضرية بالولايات المتحدة ، ويعتبر كتابها «الأقحوان والسيف» سنة ١٩٤٦ The Chrysanthemum and the Swcrd أشهر ما كتبته فى هذا المجال [١] .

وقد كان للنظرة المتكاملة التى أشتهرت بها بنديكت أثر كبير فى منظورها الشامل للثقافة ، حيث أتضح لها أن التحليل المنفرد للسمات الثقافية لم

(1) Karcine-.A- and Precle,op-cit- 1963 P- 180 -

يساعدها إلا قليلا فى محاولة تفسير الثقافة . ولذلك فهى تؤكد مع الوظيفيين من أمثال مالينوفسكي Malincwski على ضـــرورة دراسة الثقافات كوحدات متكاملة على قدر الإمكان . ولكنها فى هذا المنظور تختلف عن مالينوفسكي حيث تبدأ بدراسة «الصيغ الثقافية » Cultural configuratinos وتنظر إلى السلوك الفـــردى على أنه متطابق بدرجة كبيرة مع المتطلبات الثقافية بينما يبدأ مالينوفسكي بدراسة الفرد وينظر إلى الظاهرة الثقافية على أنها مشتقة من حاجات الفرد . وقد أوضحت روث بنديكت منظورها فى تحليل ودراسة الثقافة فى كتابها « الأنماط الثقافية » Patterns of Culture بأن الثقافة تتكون من « صيغ ثقافية تتكامل تحت سيطرة نمط رئيسى وعام فان أى ثقافة ، إنما تشبه الكائن الفردى من حيث تكوينه على أنه « نمط من الفكر والفعل » ، حيث يمكن أستخدام الإصلاحات السيكولوجية فى تحليل وتلخيص الخصائص الثقافية . ولذلك فهى ترى أن الثقافات ، عبارة عن سيكولوجية الفرد قد طرحت بصورة مكبرة على الشاشة ، وأعطيت أحجاماً ضخمة ومسافة زمنية طويلة [1] .

Cultures ... ... are incivicual psychology thrcwn large upcn th› screen 'given gigantic proportions and a long time span.

وقد أدى أستخدام بنديكت للتشبيه السيكولوجى إلى وضعها ضمن زمرة الأنثروبولوجيين المحدثين ، الذين يحاولون دراسة الانسان والمجتمع من خلال مدخل يتضمن معارف مختلفة . ويلاحظ أن بنديكت لم تستخدم

---

(1) Ibid, P. 183.

فى كتاباتهـا الأولى بالذات الأشـكال الوظيفية والتـكيفية من النظرية السيكولوجية ، عندما حاولت توضيح أسباب إختلاف ثقافة عن أخرى . وتظهر ببساطه فى دراسة بنديكت الروح الجماعيه لشعب ما وكأنها «معينة» given بنفس الطريقة التى يظهر بها « الطراز » Style عند كروبر فى الدراسه التى أجراها مع ريتشارد سون Richardscn عن أزياء النساء خلال القرون الثلاث الماضية ، وذلك أمتداداً لبحث سابق أجراه كروبر وحده عن الموضوع ذاته . والحقيقة أن بنديكت قد أستخدمت أصطلاح « الطراز » Style بما يتضمنه من معنى المصادفة لتقترح طبيعة « النزعة السيكولوجية » Psyholcgical Set فى الثقافة [١] .

ويعتبر مفهوم « العبقرية والقبلية » Tribal Genius عند بنديكت ليس مفهوما سيكولوجياً وإنما هو تعبير أصـلا مستمدا من الدراسات التاريخية للشعب الألماني بمعنى «الروح الشعبية» . وقد عبرت عنه باصطلاح من اللغه الألمانية هو Vclks geist ويلاحظ أن بنديكت قد تأثرت بمؤلفات فيلهام ديلثى Wilhelm Dilthey وأزوالد شبنجلر Oswald Spengler بالإضافه إلى تأثرها بأفكار الفيلسوف كانت Kant وهيجل ، حيث تـكلم « كانت » Kant عن تخطيط الطبيعة « Plan of nature فى التـاريخ ، وتشبيه ذلك « بقوانين الطبيعة » فى العلم . لذلك فهو يعتقد أن الانسان ينفذ هذا المخطط دون أن يكون مدركا لهذا . أما بالنسبه لهيجل فانه لا يوجد مخطط للطبيعة أو وجود إله خلف الأحداث التاريخية ، وإنما يوجد عقل

---

(1) Ibid . P . I83 .

وانفعالات Passions إنسانية . وبالرغم من أن الأحداث التاريخية كما تشاهد من الخارج لن توضح بالضرورة أرتباطات منطقية ، فان أفكار الناس الكامنة وراء هده الأحداث هى التى تقوم بتوضيح هذه الارتباطات . ولذلك يجب على المؤرخ أن يعمل من خارج هذه الأحداث ومن خلالها أي عليه أن ينفذ إلي الأحداث حتى يعثر علي الإرتباط المنطقى « للأفكار » التى تكمن وراء هذه الأحداث أى إلي روح العصر .Spirit of time .

ويقترب دياثى Dilthey من هيجل عندما يتكلم عن ضرورة أن يحيا الحياة الخاصه « النشاط الروحى » Spirtual activity لثقافة معينة لكي يفهم هذه الثقـافة . ويرى دياثى أن الأنساق الفلسفية هى تعبيرات لأمزجة ثقافية مختلفة ، هذه الأمزجة لا يمكن إحلال إحداها مكان الاخر . أما شبنجلر فانه يؤكد علي الصفة الخاصة لـكل ثقافة ، و تعبر الثقافة عن خصائصها المميزة فى كل تفاصيل وجودها ، ولذلك يصر كلا من دياثى وشبنجلر علي أستقلال الثقافات كل عن الأخرى [1] .

وقد أستمدت روث بنديكت مفهوم سيكلوجيا الجشطالط فى تطبيق مفهـوم « الروح الشعبية » Volk Sgeist التى أستمدتهـا من التراث التاريخى الألمانى على البيانات التي جمعتها عن الأنثروبولوجيا الثقـافية ، وحتى بالنسبة للدراسة التى أجرتها أخيرا بعنوان « الأقحوان والسيف » قد أستخدمت السيكولوجيا التكيفية فى تفسير أستمرار الثقافة ، وحتى فى هذه الدراسة فان منهجها لا يزال يعتمد على فكرة « العبقرية القبلية » ،

---

(1) Ibid. p. 184

وهذا المنهج يتلاءم مع طبيعة بنديكت الشاعرية [1] .

وبعد أن أستعرض الباحث البدايات الفكرية والمنهجية التي ينهض عليها منظور الإتجاه التشكيلي في دراسة الثقافة والشخصية ؛ يتناول الباحث فكرة التكامل الثقافي ، ثم يعرض بعد ذلك إلي تحليل الأنماط الثقافية ودورها في تشكيل الشخصية .

منظور التكامل الثقافي :

ينشد هذا الاتجاه إقامة علاقة بين أنماط الثقافة الأساسية وبين أشكالها الأساسية وتتصدر هذا الإتجاه العالمة « روث بنديكت» . فهي تؤكد علي أن الثقافة التي تنضوي تحت التشكيل يمكن أن ترتبط بنمط متميز للشخصية يؤثر في رعاية ونمو وتعديل كثير من العناصر الواقعة في نطاق الثقافة . وقد أستندت « بنديكت» في دراستها لهذا الإتجاه على النتائج التي توصلت اليها المدرسة النفسية الجشطالطية ، حيث أثرت هذه النتائج في توجيه الدراسات الأنثروبولوجية وتطورها .

وقد درست « روث بنديكت » ثلاث شعوب يميز كل منهم بثقافة مختلفة لكي تؤكد فكرتها عن « التباين اللانهائي للأنماط الثقافية » ، وأيضاً لإيضاح كيف يمكن النظر إلى الثقافة باعتبارها صيغة مكونة من أنماط ثقافية تتكامل فيما بينها ، ويسيطر عليها نمط عام سائد . وقد أستمدت فكرة السيطرة هذه من عند بعض فلاسفة الأغريق وكذلك لدى الفلاسفة الألمان

---

(1) Ibid .

منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، وذلك لكى تحقق مبدأ التكامل الذى تؤسس عليه نظريتها التكاملية فى الثقافة . وقد توصلت من هذه الفلسفات ، أنه لا بد من أن يسيطر على الثقافة فكرة مفردة أو مجموعة أفـكار متشابهة أو قيما محددة .

وقد ظهرت أيضا فكرة التكامل عن طريق السيطرة فى كتابات دور كايم كما ظهرت كذلك عند فيلهام دلتى وعنـــــد أزوالد شبنجلر فقد حدد ثمانى ثقافات تسيطر على كل منها فكرة تميزها عن الأخرى . أثنان لها أهمية كبيرة فى أعماله «الأبولون» Appcllinicn فى العالم الكلاسيكى « والفوستان » Foustion فى الغرب فى العصر الحديث [1] .

وأشارت بنديكت بطريقة غيرمباشرة إلى مدى صعوبة أستخدام فكرة السيطرة عند شبنجلر فى تفسير التكامل الثقافى ، ولذلك فهى تفضل تميـــيز الفيـلسوف نيتشه Nietzsche بين نمـوذجى الأبولونى والديونيس Dionysion . ويمتاز الأبولونى بالمثاليات المعتدلة ، أما الثانى فيمتاز بالرغبة فى تحقيق المزيد دائما . وفى دراسة بنديكت للمجتمعات الثلاث التى أشارت اليها كنماذج ثقافية متباينة ، أعتبرت أن مجتمع البيوبلو Pueblcs فى الجنوب الغربى من الولايات المتحدة أبولونيا مثالياً وخاصة مجتمع الزونى Zuni . أما الديونيس فهو المثالى عند باقى هنود أمريكا الشمالية ، ويتضح من وصفها أيضاً أن مجتمع الدوبونيسين أيضاً [2] .

---

(1) Bendict, Ruth, Patterns of Culture, London, 1966 .P. 34 .

(2) Ibid P . 34 .

ويتطلب التمييز بين كل ثقافة ، البحث عن مجموعة القيم التى تميز كل ثقافة على حده . ويشير « كلاكهون أن هذه القيم لا بد وأن تكون أكثر عمومية وأنتشارا ، وتعطى لكل ثقافة صفات مميزة . ونجد نفس الإتجاه عند « كوراد بورا Ccracn Bois عند تمييزها للقيم التى تتصف بها الولايات الأمريكية فى الوقت الحاضر ، وهى المجهود المتشائم والرفاهية المادية والامتثال وتعتبر هذه القيم الصفات السائدة للثقافة الأمريكية وهي صفات تمييزها عن غيرها من المجتمعات .

وتنظر « روث بنديكت » إلى الثقافة على أنها نموذج منسجم ، ولذا فهى تؤكد أن الصيغة العامة للثقافة ، ليست هى مجموع العناصر الثقافية التى تتضمنها ثقافة المجتمع ، وانما هي نتيجة تفاعل هذه العناصر ، مكونه بذلك وحدة لها خصائصها المميزة وطابعها الخاص الذى يعطى لكل ثقافة تمييزاً خاصاً عن الثقافات الأخرى . فقد يعرف الباحث الأنتروبولوجى كل شيء عن نظام الزواج عند قبيلة من القبائل ، أو الطقوس الدينية ، أوحفلات المراهقة ومع ذلك لا يستطيع أن يعرف ثقافة تلك القبيلة كوحدة متكاملة فى أستعمالها لهذه العناصر الثقافية فى أغراضها الخاصة ولكنه يستطيع التعرف على هذه الثقافة إذا درس مكونات هذه الثقافة فى تفاعلها المتبادل .

وقد أهتم الانتروبولوجيون بتحليل الخصائص الثقافية بدلا من دراسة الثقافات كوحدات واضحة المعالم ؛ ويرجع ذلك إلى طبيعة الدراسات الاثنولوجية القديمة التى كانت تعتمد أصلا على قصص الرحالة والمبشرين . ويعتبر كتاب « الغصن الذهبي The golden Bois للعالم جيمس فريزر

دراسه تحليليه للخصائص الثقافية ، ولكنه يغفل كل مظاهر التركيب الثقافى وتنتقد روث بنديكت هذا الكتاب وتصوره بأنه عبارة عن مسخ مشوه يجمع أجزاء جسمه من أماكن متفرقة ، لا يعطى فى النهاية صورة حقيقية عن أى ثقافة (١) .

ولذلك تشير « بنديكت » إلى أن دراسة العمليات الثقافية وإدراك ما يتضمنه أى عنصر من عناصر السلوك من معنى ، يجب أن يتم دراسته فى ضوء علاقته بالاهداف والعواطف والقيم الحقيقية ، التى تعتبر كلها من مكونات تلك الثقافة ، مما يؤكد الاهتمام بدراسة الصيغة الكلية للثقافة بدلا من الاهتمام بالتحليل المستمر .

وتعتمد الثقافة فى تكاملها على مدي التكيفات التي تحدث بين العناصر الثقافية الجديدة وبين الرواسب الثقافية Survivals وذلك لأن هذا التكيف شرط ضرورى للتكامل الثقافى وترتبط درجة التكامل الثقافى بالبيئة الطبيعية للمجتمع ، فيحدث التكامل بدرجة أسرع فى البيئات الثابتة ، إذ يتم فيها التكيف بين السمات الثقافية بدرجة أكثر فاعلية من المجتمعات ذو البيئات المتغيرة (٢) .

ولذلك فان التعميمات الخاصة بالتكامل الثقافى فى مجال البحث الميدانى خطير ، فالباحث الميدانى يجب أن يكون موضوعياً فى تسجيله للسلوك الواقعى ، ولا يتأثر بفروض قبلية فى ذهنه . يفسر فى ضوئها الحقائق .

---

(1) Ibid .P. 34.

(2) Ibid .P. 39.

ولهذا قد أساء البعض فهم العلاقة بين التكامل الثقافى فى دراسة المدنية الغربية، مما أرجع ذلك إلى عدم وضوح هذا الموضوع فى النظرية الاجتماعية . فقد اعتقد هؤلاء أن المجتمعات المدنية تعانى من افتقار فى التكامل بسبب تعقدها، وما يشملها من عوامل تغير سريعة بين كل جيل وآخر . وأن هـــذه الخصائص والمميزات لا تحدث فى المجتمعات البسيطة ، لذلك فهى تعانى من افتقار فى التكامل ، ولكن الحقيقة أن الاعتقاد بأن الجمعات المدنية تعانى من افتقار فى التكامل أمر مبالغ فيه. فالمجتمع البدائى يتكامل داخل وحدات جغرافية ، أما المدنية الغربية فهى طبقية وتعيش فى جماعات اجتماعية مختلفة فى نفس الوقت وفى نفس المكان ، وعلى مستويات مختلفة وتحـركها دوافع مختلفة (1) .

وقد أثير حول فكرة « التكامل الثقافى » عـدة أسئلة جدلية ترتبط بعلم الاجتماع وعلم النفس الإجتماعى ، وتدور هذه الاستفسارات حول ما إذا كان المجتمع كائنا عضويا . فقد أوضح علمـاء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى فى مناقشاتهم على أن المجتمع لا يعدوا أن يكون أكثر من عقول الأفراد الذين يكونون المجتمـــع ، ولذلك نقدوا ما يسمى « بالخداع الإجتماعى » Group Fallacy . أما العلماء الذين إهتموا بدراسة الثقافة فقد كشفت دراساتهم الحقلية أن كل قوانين علم النفس الفردي غير كافية لتفسير الحقائق. ولذلك إتفقوا مع « دور كايم » فى قوله « ليس للفرد وجود The individual doesnot exist كما يشير « كوبر » إلى

(1) Ibid. p. 105.

ذلك بأن هناك قوة فوق العضوية مسئولة عن العملية الثقافية . وقد أشارت روث بنديكت إلى أن هذا الرأى يظهر بوضوح فى قبائل الزونى ، إذ أن ثقافتهم تعلو وتفوق إرادة أفرادها ولذلك تعرف بأنها « كل عضوى » Organic Whole فهى نتيجة حتمية لتجميع الأفراد ، ويقتضى فهم السلوك البشرى دراسة ظاهرة الجماعة ، إذ لا يمكن لعلم النفس الفردى وحده أن يفسر الحقائق التى تواجه الباحث (١) .

ويظهر ذلك عند تقبل المجتمع للعادات الإجتماعية ، فقد يتقبل أنواعاً من السلوك ويرفض أنواعاً أخرى ، وترجع صعوبة توضيح تقبل أو رفض أنواعا من السلوك ، إلى تجاهل التاريخ والعملية التاريخية . فقد ترتبط بعض الظواهر الثقافية بأسباب تاريخية مثل المواسم والأعياد والاحتفالات الدينية ، فكل ظاهرة ثقافية ترتبط بمناسبة معينة . ولهذا لا يمكن تفسيرها فقط فى ضوء التفسيرات السيكولوجية للثقافة ، بل أيضا لابد من ربطها بسياقها التاريخى . أى أن تفسير الثقافات ما هو إلا عرض فى ضوء سيكولوجيا الفرد ، ولكن يعتمد هذا التفسير على التاريخ مثلما يعتمد على علم النفس فقد برز السلوك الديونيسى فى أنظمة بعض الثقافات لأنه من الإمكانيات الثابتة فى سيكولوجية الفرد ، أما بالنسبة لظهوره فى بعض الثقافات وعدم ظهوره فى ثقافات أخرى ، يرجع ذلك إلى أن الوحدات التاريخية فى مكان معين أدت إلى تنميته ، وفى أماكن أخرى كان تأثير هذه الوحدات التاريخية فيه ضعيفا . أى أن التاريخ وعلم النفس

---

(1) Ibid. P. 166.

كلاهما ضرورى لتفسير الأنماط الثقافية ، ولا يمكن أن يقوم أحداهما مقام الآخر ويؤدى وظيفته (١) .

أما القضية الأخرى التى يحتدم حولها النقاش ، تتلخص فى الصراع حول الرأى القائل بالأسس البيولوجية للظواهر الإجتماعية ، فبعض العلماء يرى أن بعض الخصائص الإجتماعية تنتقل بالوراثة ، ولكن الارتباطات الفسيولوجية التى يقدمها علماء البيولوجيا فيما يختص بقانون الوراثة ، لا تعطى كل الحقائق التى يمكن أن تساعد على تفسير كل الحالات . وأوضح مثال على ذلك أن هنود أمريكا ينتمون إلى سلالة واحدة بيولوجيا ، ومع ذلك نجد أن بعضا منهم ليس ديونيسيا فى سلوكه الثقافى ، بل الأكثر من ذلك أن الزونى مثل واضح للدوافع المتناقضة دائماً ، كما أن الثقافة الأبولونية يشارك فيها بعض جماعات البيوبلو الأخرى ومنهم جماعة « الهوبى » (٢) .

ولذلك يعتبر التفسير البيئى أكثر وضوحا عندما نضع فى الاعتبار عامل الانتشار عبر الزمان بدلا من الإنتشار فى المكان ، فالتكوين البيولوجى لم يتغير على مر الزمن تغيراً ملموسا ، بينما حدثت تغييرات فى السلوك السيكولوجى لأفراد هذه الجماعات . والأمثلة على ذلك متوفرة من واقع تاريخ الثقافة ، فالحضارة الأوربية فى العصور الوسطى كانت تميل إلى السلوك الأسطورى والظواهر الروحية ، ثم تغير هذا الإتجاه نحو المادية

(1) Ibid. p. 168.

(2) Ibid. p. 169

المتعصبة فى القرن التاسع عشر . ويتضح من ذلك ان الإتجاه الثقافى قد تغير دون أن يحدث تغييرا مماثل فى التكوين البيولوجى للجماعة . كما أنه لا يعنى أيضا إنكار الاسس البيولوجية للسلوك الثقافى عند الإنسان ، وإنما المقصود هو تأكيد الحقيقة القائلة بأن العوامل التاريخية لهـا فاعليتها وتأثيرها فى توجيه هذا السلوك [1] .

فالنمط الثقافى لأى مدنية يعكس الاغراض والدوافع البشرية للمجتمع، بينما نجد أن الصيغة الثقافية لهذا المجتمع تتضمن كثيراً من المتناقضات التى لا تشتمل عليها الانماط الثقافية ، وذلك لان كل نمط ثقافى له هدف يختلف عن الاهداف الاخرى ، كما تتباين وسائل تحقيق هذا الهدف فى الانمـاط الثقافية المختلفة . هذا بالإضافة إلى أن الانماط الثقافية المتماثلة لا تتفق فى إختيارها للمواقف التى تشكل أهداف محددة لها . ولهذا فان التكامل الثقافى يحدث دائما فى النمط الثقافى الواحد أكثر مما يحدث فى الصيغة الثقافية العامة للمجتمع ككل [2] .

وخلاصة القول أن « روث بنديكت » ترى أن كل ثقافة من الثقافات تسيطر عليها إتجاهات عامة شاملة تطبعها بطابع خاص يميزها عن غيرها . ويختلف رأيها هذا عن الإتجاه الوظيفى فى دراسة الثقافة ، فهى تركز إهتمامها أساساً على دراسة الإتجاهات الاساسية للثقافة ، أكثر مما تركز هذا الاهتمام على دراسة العلاقات الوظيفية لكل سمة من السمات الثقافية . وهى

---

(1) Ibid · P. 169 .

(2) Ibid. p· 171·

تختلف فى ذلك عن « مالينوفسكى » فقد نظر للثقافة إبتداء من الفرد واعتبر الظواهر الثقافية مشتقات من الحاجات الفردية ، أما « روث بنديكت » فقد بدأت من الصيغة الثقافية واعتبرت .. السلوك الفردى مجرد إتفاق وتوائم مع التعاليم والمثل والقيم والإتجاهات الثقافية الموجودة بالفعل [١] .

وفى ضوء نظرية « روث بنديكت » يمكن للباحث الأنثروبولوجى أن يصل إلى تأويل وظيفى للثقافات المختلفة ، ولكن ليس للثقافة فى عمومها . والواقع أنه بحسب هذه النظرية لا يمكن قيام « علم للثقافة » بالمعنى الدقيق لكلمة « علم »، وذلك نظراً لوجود كل التغايرات والإختلافات والأشكال والصيغ التى تختلف أشد الإختلاف . ولأن أى ثقافة من الثقافات تتألف فى نظر « بنديكت » من عـدد من الأنماط الثقافية التى تتكامل داخل صيغة ثقافية واحدة وعامة وسائدة ، وتختلف بالضرورة عن غيرها من الصيغ الثقافية ، كما تختلف مكوناتها عن مكونات الصيغ الأخرى . وهذا كله من شأنه أن يجعل من الصعب الوصول إلى تفسير علمى أو إلى تعميمات كلية تقوم مقام « القانون فى العلم » [٢] .

---

(١) دكتور أحمد أبو زيد ، البناء الإجتماعى ، المفهومات ، الدار القومية، ١٩٦٦ ، ص ٢٢٩ .

(٢) دكتور أحمد أبو زيد ، المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

الأنماط الثقافية ودورها فى تشكيل الشخصية :

لقد حددت « روث بنديكت » منطقة الجنـــوب الغربى من أمريكا الشمالية لدراسة بعض نماذج من المجتمعات ، حيث وجدت فى هذه المنطقة فرصة لدراسة مدى التناقض الموجود فى المجموعات السيكولوجية لهـذه الشعوب . كما وجدت أن معظم هذه المجتمعات يسودها دافع مسيطر ، يعمل على تنظيم الظـواهر الإنسانية ذات الطابع التكرارى ؛ كالميـلاد والوفاه وطلب الطعام والمأوى . وفى ضـوء هذه الخصائص اختارت ثلاث نماذج من المجتمعات يتميز كل منها بنمط ثقافى يختلف عن الآخـــر ، وهذه المجتمعات هى مجتمع «البيوبلو» Pueblos ومجتمع « دوبو » Dobu ومجتمع كواكيوتل Kwakiutl .

أولا : تحليل النمط الثقافى لمجتمع البيوبلو ودوره فى تشكيل الشخصية :

تتميز ثقافة البيوبلو بعامـل الوفاء والاتزان والمحافظة على السـلوك ، ويسيطر هـذا على العناصر الثقافية التى تشكل فيها الصيغة الثقافية العـامه لمجتمع البيوبلو . وقد أدت سيطـرة هذا النمط إلى إعاقة انتقال العناصر الثقافية الديونيسية التى تتميز بتعذيب النفس . فالصيغه الثقافية لمجتمـع البيوبلو تنهض على سمات إنسانية مختارة ، وتعمل على محو السمات الاخرى التى تتعارض مع طبيعتهم التى تتصف بالهدوء والمسالمة . ويبدو هذا واضحاً فى استغراقهم الكلى فى الحفـلات الشعائريه ، وحفـلات الرقص وطريقة تأديتهم لعباداتهم ، واعتقادهم فى السحـر ، وخاصة فى ربطهم بين نزول المطر وخصوبة الأرض .

ويمتد هـذا النمط الثقافي المسيطر على صيغتهم الثقافية إلى تكوين الأسرة ، ولذلك تتميز الأسـرة لديهم بالاستقـرار ، وتتسم العـلاقات الفردية بالوئام دائماً ، فالعـلاقة التي تتسم بالخصام عندهم تعتبر عـلاقة مكروه (١) .

ويلاحظ أن الفرق الأساسى بين البيويلو ، وبين ثقافات أمريكا الشمالية الأخرى هو نفس الفرق الذى وضعه الفيلسوف نيتشه وأطلق عليه التسمية التي اختارها فى دراسته للمأساة اليونانية . واختار فى هذه الدراسةوسيلتين للوصول إلى تقدير قيمة الوجـود لدى كل من الديونيسى والأبولونى وهاتان الوسيلتان تختلفان كلية وكأنهما على طرفى نقيض . وتظهر الوسيلة الأولى لتقدير قيمـة الوجود عند الديونيس فى إزالة الحواجز والقيـود المضادة للوجود وذلك بسعيه فى الهرب من القيود التي تفرضها عليه حواسه الخمس ، حتى ينفذ من عالمه إلى عالم آخـر يسوده حالة نفسية معينة توصله إلى منتهى الفيض الروحى . أما الأبولونى فان وسيلته إلى ذلك هـو الالتزام بالطريق الوسط المعتدل لا يدخل فى حالة نفسية تسبب له التصدع. ويذكر نيتشه بأن الأوبولونى عندما يصل إلى منتهى التجلى أثناء الرقص، فانه يحتفظ باسمه وشخصيته أى يكون دائما واع بكيانه وواقعه الذى يعيش فيه (٢) .

وتذكر « روث بنديكت » أنه ليس من الممكن أن يفهم إتجـاهات

---

(1) Bencict, Ruth, Op. cit. 1966.

(2) Ibid. P. 57 .

البيوبلو نحو الحياة إذا لم نتعرف على الثقافة التي تفرعوا منها ، وهذه الثقافة هي التي تسود باقي أجزاء أمريكا الشمالية التي تتصف بالديونيسية ، القائمة على قهر الروتين الحسي المعتاد والمقدرة لكل خبرة عنيفة يمر بها الفرد الذي يعيش في هذا المجتمع . إذ لا يوجد لهنـــود أمريكا الشمالية خارج نطاق البيوبلو إلا ثقافة ذات طابع واحد لا يتغير . فهناك ثمانية مناطق يمكن التمييز بينها ولكنها تشترك جميعا في مظهر أو آخر من مظاهر الديونيسية ومن أبرز هذه المظاهر محاولاتهم الحصول على قوة خارقة للطبيعة عن طريق الأحلام أو الرؤيا . إذ يحاول بعض الرجال في السهول الغربية التي يسودها الاتجاه الديونيس ، بلوغ هذه الرؤيا عن طريق ممارسة أنـــواع قاسية من التعذيب ، ويركزون أذهانهم في الرؤيا المنتظرة التي يتقرر وفقها حياة الجماعة والنجاح الذي يترقبونه . ولذلك فهم يتعـاطون بعض المخـدرات وأعشاب نباتية حتى يتمكنوا من الاستغراق الكلي في الرؤية . وعلى العكس من ذلك ترى أن البيوبلو يستخدمون الصيام من أجل الطهارة الشعائرية ، وخاصة أثناء الخلوات الكهنونية وأيضا قبل الاشتراك في الرقص ، ولكنها لا تتسم بأي مشاعر ديونيسية (١) .

وقد يعتقد الباحث الأنثروبولوجي عند دراسته لثقافة البيـــوبلو في وجود سمات ثقافية مشتركة بينهم وبين القبائل التي تسكن في الشمال ، مثل عادة الضرب بالسياط وهذه العادة ليست من أجل التعذيب النفسي ، وإنما تمارس لرفع وأبعاد الأحداث السيئة وهو من الشعائر الموثوق بها لطرد الأرواح الشريرة . كما يقضون وقتا طويلا في ممارسة الرقص ، وليس

(1) Ibid. P. 58.

الغاية من ممارسته الوصول إلى حالة من النشوه أو نسيان الذات كما تفعل قبائل الشمال . وحتى إذا مـا أشتركوا مـع جيرانهم فى أنواع خاصة من الرقص الذى يرضى الغريزة بالمعنى الديونيس فان البيوبلو يمارسون هذه الأنواع من الرقص دون أن يتعاطوا أى نوع من المسكرات .

وعندما نتناول تحليل ثقافة الزونى Zuni وهم جزء من قبائل البيوبلو نجد أن ثقافتهم تتميز بعدم ممارسة السلطة، وذلك لأنهم يحرصون على إذابة الفوارق الإجتماعية . فالسلطة والمسئولية لديهم دائما موزعة ، والجماعة هى التى تشكل الوحدة العاملة ، وليس هناك طريق أو وسيلة لسد حاجة الأسرة إلا عن طريق الاشتراك والمساهمة بين جميـع أفراد الأسرة . ولذلك لا يحق للفـرد الاستقلال الذاتى سواء فى أمر دينى أو فى شئون أقتصادية ، فالجماعة هي التي تتولى كلها كافة هذه الشئون . وفى ضوء ذلك يكون مفهـــوم الرجل المثالى فى ثقافة الزونى هو الشخص الذي يساهم بنشاطه مع نشاط الجماعة ولا يدعى لنفسه أى سلطان ، كما لا يتصف بالعنف أبداً . وتتضح عقيدتهم الأبولونية بصورة واضحة من حيث تمسكهم بالأعتدال فى نظرتهم الثقافية إلى العواطف . فالأعتدال هو الفضيلة الأولى سواء فى الغضب أو الحب أو الحزن ، بينما يلجأ الدينوسيون إلى أنواع قاسية من التعذيب فى التعبير عن الحزن والحداد ، مثل قطع الأصابع والسير لمسافات طويلة ، وفى حالة وفاة الزوج ترفض الزوجات تناول الطعام وتقضى وقتا طويلا على قبر زوجها فى حالة بكاء مستمر .

وهكذا نجد أن البيوبلو أستطاعوا أن يقيموا لأنفسهم ثقافة موحـدة منذ القدم فى أمريكا الشمالية، تستوحى أشكالها من مختارات مثالية من الثقافة الأبولونية ، كل معتها فى الشكليات وسبيلها فى الحياة الدقة والأتزان والأعتدال ، وهذا هو النمط المسيطر على مكونات الطبيعة الثقافية لمجتمعهم .

ثانياً : تحليل النمط الثقافى لمجتمع الدوبو ودوره فى تكوين الشخصية :

تقدم « روث بنديكت » نموجا آخر من النماذج الثقافية التى يسودها نمط معين من الثقافة ، يسيطر عليها و يشكل الصيغة الثقافية لهذا المجتمع بطابع معين . هذا النموذج هو مجتمع الدوبو ، ويقع فى جزيرة ضمن مجموعة جزر قريبة من الساحل الجنوبى الشرقى لغينيا الجديدة . وقد قام بدراسته أصلا ريوفورتشن Reofcrtune ويتصف سكان هذا المجتمع بالتشكك والارتياب ، والميل إلى المشاحنات والمنازعات كما أنه لا يوجد لديهم تنظيم رئاسى ولا تنظيم سياسى ولا قانونى ويسود علاقاتهم الاجتماعية الشعور العدائى ، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة ، وقد يمتد هذا الشعور العدائى إلى الإفراد الذين يعملون فى وحدة عمل واحده ، ويظهر ذلك فى قيام بعض الأفراد بتدمير محاصيل الأفراد الآخرين ، وهذا الشعور العدائى لا يقتصر فقط على الأفراد وحدهم ، بل يسود الأسرة أيضاً وطبقاً للتقاليد الصارمة فى مجتمع « الدوبو » يقوم الزوج بتمثيل دور المذلة والخضوع حين يعيش فى قرية غير قريته فى سنة التبادل، وكذلك عندما يعيش الزوجان فى مسكن مشترك ، يظهر الشعور العدائى بوضوح . لأن الزوجة ترغب فى أن تكون لها حديقة خاصة بها ولأولادها وهذا يتعارض مع الامتيازات السحرية . فالملكية فى مجتمع « الدوبو » لها دور كبير فى تشكيل العلاقات الإجتماعية بين الأفراد ، فهى نظام متوارث ينحدر من العشيرة ، كما ينحدر الدم فى عروق أفرادها وقد يترتب على حرصهم على الملكية الخاصة التضحية بالاخرين ، والشك المتبادل وسوء النية . كما يسود مجتمع الدوبو الاعتقاد فى السحر والتعاويذ ولذلك له أهمية كبرى عنـــدهم ، وتؤدى التعاويذ

بمصاحبة حركات رمزية [1] .

وأهم عنصر فى حياة هذه الجزر هو التبادل ، الذى يشتمل على أثنى عشر جزيرة تقع تقريبا فى شكل دائرة محيطها نحو ١٥٠ ميلا ، وتؤلف هذه الجزر حلقة « الكولا » التى وصفها « مالينوفسكى » عند دراسته لجزر « التروبرياند » شركاء « الدوبو » فى الشمال . ويتلخص نظام الكولا فى أنه يقوم أساساً على تبادل بعض السلع المعينة ، التى لاتتصف بقيم تجارية أو أقتصادية ، ولكن لها قيمة أجتماعية وشعائرية ، ويحتل كل من يملكها مكانة أجتماعية مرموقة . وتتكون هذه السلع من عقـــود طويلة من الأصداف الحمراء وأساور من الأصداف البيضاء . ويتبلور نسق التبادل فى وجود أتفاقيات شتوية تقليدية ومتوارثة منذ أجيال بعيدة بين سكان الجزر على تبادل هذه السلع ، بحيث تنتقل العقود فى أتجاه معين لا يتغير حول محيط الدائرة التى تنتظم فيها هذه الجزر ، بينما تنتقل الأساور فى الاتجاه الاخر [2] .

وتتوقف مكانة الفرد وعائلته فى الحياة الإجتماعية على نوع السلع التى يحصل عليها أثناء هذه المبادلات ، وخاصة حين يحصل على الاصداف النادرة النقية . ومبادلات « الكولا » لا تكون جماعية ، وإنما يتبادل كل رجل بمفرده مع شريك واحد . ويلاحظ أن « الدوبو » بحارة غير مهرة ، ولذلك تعتبر أحسن الفصول بالنسبة لهم ، هى الفصول التى يطول فيها هدوء

(1) Benedict, Ruth, op. cit., 1966 P.P. 103 – 105.
(2) Ibid P.P. 110 - 111.

البحر . ويظهر أتجاه الخيانة والغدر بين زملاء التاجر الناجح فى الكولا فيقدمون (١) على الإنتقام منه إما بقتله أو بتخريب وإفساد تجارته .

ثالثاً : تحليل النمط الثقافى لمجتمع « الكواكعيول » ودوره فى تكوين الشخصية :

وتقدم « روث بنديكت » أخيراً صيغة ثقافية أخرى تختلف عما قدمته سابقا ، فتتعرض لدراسة ثقافة مجتمع الكواكتيول التي قام بدراستها العالم فرانز بواس Boas . وتعيش هذه القبائل على الشاطىء الشمالي الغربي لامريكا ويتميز أفراد هذه القبائل بالتطرف والنزوع إلى الإنزواء والميل إلى التنافس ، ولهم ثقافة خاصة تختلف أختلافا واضحا عن ثقافة القبائل المحيطة بهم . ويعتمدون فى حياتهم على البحر ومستخرجاته ولا يهتمون بالزراعة ، وتتصف كل ثقافتهم المادية بصناعة الاخشاب حيث يشكل عنصرا أساسيا فى حياتهم ، ولذلك فان حمل الأخشاب تعتبر مهنة أساسية عند الرجال بعد مهنة صيد الأسماك (٢) .

ويحتل الرقص فى ثقافة هذه القبائل مكانه هامه ، إذ يتولى إقامتها جمعيات دينية يندمج فيها الأفراد بعد الحصول على تأييد من الرئيس الاعلى للجماعة . ويتطلب نظام الرقص أن يفقد الراقص الأول وعيه والسيطرة على نفسه وقد يصل به الامر فى نهاية الرقص أن يغيب كليه عن الوجود ، وأحياناً يتعرض إلى الموت إذا ما أخطأ أثناء الرقص . وينتظم الأفراد

---

(1) Ibid P. 114.

(2) Ibid. P. 125.

داخل جمعية دينية تعرف بأسم الكانيبال Cannibal ويتميز هؤلاء الافراد بميولهم نحو أكل لحم الإنسان ، إلا أنهم لا يلجأون فعلا إلى أكل لحم البشر وإنما هو تعبير عن ميولهم الديونيسية العنيفة التي يتميزون بها ويشكل هذا العنف الصيغة الثقافية لمجتمعهم (١) .

ويتشكل نموذج الثقافة الخاص بهم بشكل معقد من أفكارهم عن عن الملكية ، وإحراز الثروة فالملكية لديهم هي متاع منقول وموروث . وتتمثل هذه الملكية فيما هو مادى وما هو غير مادى مثل أسماء الأساطير والأغاني والإمتيازات وألقاب السيادة ، وهذه الالقاب لها دور كبير فى تحديد المركز الإجتماعي للافراد . ويعتبر الموت عندهم إهانة عظيمة سواء كان نتيجة المرض أو القتل، ولذلك فهم يدفعون هذه الإهانة عنهم باستخدام طريقة « صيد الرؤوس » Head hunting . وتتلخص هذه الوسيلة فى أن يقتل شخص آخر بدلا من الذي أصابة الموت ، والغرض من ذلك هو نقل الحزن إلى أسرة أخرى ، وهذه الاسرة تقيم الحداد بدلا من الاسرة الاولى . ويشترط فى الشخص الذى يقتل أن يكون فى مرتبة أجتماعية تعادل المرتبة الاجتماعية للشخص الذى مات Killing to Wipe ويمكن بذلك المحافظة على مركز الشخص الاول ومكانته (٢) .

ويتميز الرجل الطموح فى هذا المجتمع بتعدد الزوجات لان ذلك يعطيه من الحقوق والامتيازات ما يفوق غيره ، وكذلك السعى وراء الامتيازات ووراثة الالقاب النبيلة من العناصر الاساسية التى

(1) Ibid .P. 125.
(2) Ibid .P. 156.

تكوين الصيغة الثقافية التي تسود مجتمعهم . وذلك لانهم يعتقدون أنه كلما تزداد حصيله الفرد من هذه الامتيازات والالقاب ، تزداد بذلك قوته ، والقوة هي النمط السائد الذى يسيطر على الصيغة الثقافية لهذا المجتمع . وهى التي تشكل علاقاتهم ونظريتهم الاجتماعية [١] .

تأثير التكامل الثقافى فى تشكيل الصيغة الثقافية :

يتضح من خلال تحليل النماذج الثقافية التي درستها « روث بنديكت » أن هذه الثقافات الثلاث يسودها نمط ثقافى يسيطر ويشكل الصيغة الثقافية التي تطبع كل من هذه المجتمعات الثلاث بطابع خاص يميزه عن غيره . ولذلك فان الثقافات الثلاث لقبائل الزونى والدوبو والكواكيوتل ليست مجرد تشكيله غير متجانسة من التصرفات والمعتقدات ، وإنما لكل منها أهداف معينة ويتجه سلوك هذه المجتمعات نحو هذه الاهداف ، وكذلك تعمل أنظمتها نحو تحقيق هذه الاهداف .

وتختلف هذه الجماعات فيما بينها ، ليس فقط فى تواجد سمة ثقافية معينة فى مجتمع دون الاخر، أو لاختلاف شكل هذه السمة الثقافية فى مجتمعين ، وإنما يقوم هذا الاختلاف أساسا لان الصيغة الثقافية التي تسود مجتمعهم موجهة ككل فى أتجاهات متباينة . تسعى وراء أهداف تختلف بالنسبة لكل مجتمع ، ولذلك يستحيل الحكم على هذه الاهداف فى أحد هذه المجتمعات الثلاث على أساس ما يسود مجتمع آخر . بمعنى أنه لا يمكن تفسير أهداف مجتمع الزونى بما يشاهد من أنماط سلوكية فى مجتمع الدوبو. وذلك لان هذه

---

(1) Ibid P.P. 158–159 .

الثقافات لا يمكن أن تتشابه فى آلاف الأجزاء التى تنتظم فى نمط سلوكى متوازن ، إذ أن هناك أفراد متعددون ، وكذلك ضوابط إجتماعية متباينة تؤدى دورها فى تحديد المناشط الإجتماعية والدوافع لدى الأفراد ، مما يؤدى إلى نقص فى تكامل الصيغة الثقافية التى تسود المجتمع .

ولذلك عند دراسة أفتقار التكامل الثقافى فى الصيغ الثقافية للمجتمعات الأخرى ، لايمكن بحال أن يرجع هذا النقص فى التكامل إلى نفس الظروف والاسباب . ويظهر ذلك واضحا فى دراسة بعض القبائل التى تقطن كولومبيا البريطانية ، فقد أستعارت بعض السمات الثقافية من المدنيات المحيطة بهم ، مثل نمط أستثمار الثروة ، حيث أقتبسوه من أحد المناطق الثقافية المحيطة بهم ، بينما أستعاروا أجزاء من أساليبهم الدينية ومعتقداتهم من ثقافة أخرى ، وأجزاء متناقضة من ثقافة مغايرة . كما تعتبر أساطيرهم عبارة من مزيج غير متجانس من مختارات غير مترابطة من الثقافات المختلفة من المناطق الثقافية المحيطة بهم . ورغم أستعدادهم لتقبل أنظمة الآخرين ، إلا أن ثقافتهم تدل على أفتقار الكثير من السمات الثقافية ، ولا ينفذ اليهم من هذه السمات الثقافية الخارجية إلا القليل الذى يتلاءم مع الكيان الثقافى لهم . كما يحتاج تنظيمهم الإجتماعى إلى مزيد من الاتفاق ، هذا وينقص شعائرهم الكثير من مثيلاتها فى أى بقعة أخرى من العالم .

ويبدو أن الأفتقار إلى التكامل عند هذه القبائل التى تقطن كولومبيا البريطانية هو أكثر من مجرد وجود سمات ثقافية تجمعت لديهم من المناطق المختلفة المحيطة بهم . ولكن الأمر يظهر أنه أكثر عمقا من ذلك ، فلكل وجه من أوجه الحياة تنظميه الخاص به ، ولكنه لايتعدى إلى غيره من التنظيمات

وينفصل كل نوع من أنـــواع النشاط ويشكل تكويناً قائماً بذاته ، بل وتتناسق دوافعه وأهدافه فى حدود مجاله ولا تتعـداه إلى حياة الناس بأكملها .

ويظهر نوع آخر من الافتقار فى التكامل الثقافى ، يبدو واضحاً على أطراف المناطق ذات المعالم الثقافية الواضحة ، والمتاخمة لبعض القبائل الأخرى، التى تتميز بثقافتها . ولذلك تتواجد فى هذه المناطق بعض التنظيمات الاجتماعية وأساليب مختلفة من الفنون ، تتناقض مع بعضها . ولـــكى تتخلص هذه المناطق من هذه التناقضات الثقافية ، فانها تقوم أحيانا باعادة تشكيلها فى شكل متناسق جديد . وينتج عن ذلك أن هذه الثقافة الجديدة لا تتشابه فى جوهرها مع أى ثقافة قائمة ، قد يشاركون فى كثير من أجزاء سلوكها . حيث تميل الاستعارات الثقافية غير المتجانسه فى معظم الأحيان ، إلى تحقيق نوع من التآلف ، ويتحقق ذلك فعلا إذا مادرسنا الماضى التاريخى لهذه الثقافات .

ويلاحظ أن التأثيرات الثقافية الجـــديدة التى تنتقل إلى منطقة ثقافية جديدة ، تدخل فى صراع مع الثقافة الموجودة أصلا فى هذه المنطقة . ومن أفضل الأمثلة على الصراع بين العناصر غير المتـآلفة ، ما هو موجود فى للقبـائل التى حققت نوعا من التـكامل . فقد كانت قبـائل تشترك فى ثقافة قبائل الساليشن فى الجنوب ، قبل أن تستقر ولذلك يحتفظون بالأساطير والتنظيم الفردى ، والاصطلاحات نسب التى تربطهم بهـــؤلاء الناس ، ورغم ذلك فان قبائل

السااليشن تتميز بفرديتها رغم أن الامتيازات الخاصة بالوراثة هناك أقل ما تكون ، فكل شخص حسب مقدرته ولم تقريباً نفس الفرصة التي تتاح لغيره من الأفراد . وتتوقف أهميته على مقدرته الخاصة ، وبالذات فى أستخدام ما يدعيه من مواهب خارقة للطبيعة .

وهكذا رغم وجود التناقض الشديد فى النظام الاجتماعى فى الساحل الشمالى الغربى ، إلا أن هذا التناقض لم يعوق تقبل الكواكيوتل للأنماط الغربية الدخيلة عليهم ، فقد أحدثوا تغيرات فى الأسماء والأساطير وأعمدة المنازل والأرواح الحافظة ضمن الملكية الشخصية . ومع ذلك فانه دائما تظهر معالم التنافر بين النظامين . حيث أنهم لم يطبقوا بطريقة مماثلة الأنظمة الخاصة بالقبائل الشمالية التى وضعت فى إطاراً ثابتاً تتحدد فيه الامتيازات . فالفرد فى القبائل الشمالية يصبح مؤهلا بطريقة آلية لألقاب النبل التى يتوارثها منذ ولادته ، أما عند الكواكيوتل فإن الفرد يقضى عمره مساوماً على هذه الألقاب ، حيث أعطوا للفرد حرية التسابق على المركز الأدبى ، وهذا يتناقض مع النظام الطبقى عند القبائل الشمالية . هذا وتعتبر بعض السمات الثقافية عند الكواكيوتل ، أنعكاسات لصراعات معينة بين الصيغ الثقافية القديمة والجديدة . وقد رفض الكواكيوتل نظام الانتساب للأم الذى تأخذ به قبائل الشمال ، إلا أنهم توصلوا إلى حل وسط وذلك بتأكيدهم على حق زوج البنت فى مطالبة والد الزوجة بالإمتيازات التى يحتفظ بها لأولاده . وبناءا على ذلك فان الإرث ينحدر عن طريق الأم ، ويمكنه أن يتخطى جيلا .

وفى ضـوء هذا التحليل فان التـكامل يجوز أن يحـدث فى مواجهة الصراعات الأساسية ، إذا ما كانت الثقافة — التى تواجه هذا التكامل — غير واضحة المعالم . وهنـاك دائما أعتقـاد فى أن وصف الثقافة يختلف أكثر عن الثقافة ذاتها وبذلك تصبح طبيعة التكامل خارجة عن نطاق تجاربنا ويصعب إدراكها . ورغم ذلك فان كل الثقـافات ليست بأى حـال هى تلك الصيغ المتجـانسة التى وصفت بهـا قبيلتى الـزونى والكواكيوتل .

المراجع الاجنبية والعربية

أولا : المراجع الأجنبيــة :

1) Bencict, Ruth, Patterns of culture, London, 1966.

2) Cassier. Ernest, An Essay on man, Yale Univ. press. 1944.

3) Evans – Prithchard, Witchcraft, Oracles and magic Among the Azande, Oxforde, 1937.

4) Firth, Rymond, Human types, mentor bocks. 1958.

5) ———— we. the Tikopia, London, 1963.

6) Hammond, peter, culture and social Anthropclogy, New York, 1963.

7) Haring, Dugles, (Ed), personal Charaeter and cultural Milliue, New York, 1948.

8) Honigman, J., Culture and personality, New York, 1954.

9) Hallowell, Irving, « Culture, personality and society ». In Krober, Al., Anthropology to day. 1953.

10) Hsu, Francis, Psychological Anthropology. The dorsey press, 1961.

11) Karciner and E.P, They studied man, Amentor book, 1963.

12) Kardiner, Abram, The Individual amd his society, New York, 1939.

13) Kardiner, Abram, The psychological frontiers of society, 1945.

14) Kluckhobn and Henry, A., (ed) Personality in nature society and culture, New York, 1959

15) Kroeber, A.L., Anthropology, Nez Delhi, 1972.

16) Linton, Ralph, The cultural background of personality New Yoak, 1945.

17) Linton, Ralph. The study of man, New York, 1936.

18) Malinowski, BI, Scientific theory of culture and other Essays, 1944.

19) Mead Margaret, Anthropology, Human science, London .1964.

20) Radcliffe—Brown, Andman Islanders, The free perss 1948.

21) Sahlins, Marshall, Evolution and culture, M.Ch. press. 1960.

ثانيا : المراجع العربية :

١ ـ دكتور أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى ـ الجزء الأول ، المفهومات ، الدار القومية ، ١٩٦٦ .

٢ ـ رالف لينتون ، الانثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث ، ترجمة عبد الملك الناشف ، المكتبة العصرية ، بيروت .

كتب صدرت للمؤلف

١ — ثقافة الفقر ـ دراسة فى أنثروبولوجيا التنمية الحضرية ، المركز العربى للنشر والتوزيع إسكندرية ، ١٩٨٠ .

٢ — المناهج الأنثروبولوجية ، المركز العربى للنشر والتوزيع إسكندرية ١٩٨٢ .

٣ — الأنثروبولوجيا الحضرية ، دار المعرفة الجامعية ـ إسكندرية ، ١٩٨٣ .

٤ — مقدمه فى الأنثروبولوجيا العامه ، المركز العربى للنشر والتوزيع اسكندرية ، ١٩٨٥.

٥ — الحياة الاجتماعية والثقافية عند قبائل الشحوح فى مجتمع الإمارات العربية ، العين ، ١٩٨٥ .

٦ — طريقة الدراسة الأنثروبولوجية الميدانية ، المكتب الجامعى الحديث ، اسكندرية ، ١٩٨٩ .

٧ — دليل البحث الأنثروبولوجى فى المجتمع البدوى، المكتب الجامعى الحديث ، اسكندرية ، ١٩٨٩ .

٨ — المدخل الثقافى فى دراسة الشخصية ، المكتب الجامعى الحديث ، اسكندرية ، ١٩٨٩ .

تم بحمـــــد الله